

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة محمد الصديق بن يحي - جيجل -

كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية

قسم التعليم الأساسي للعلوم الاجتماعية

محاضرات في مقياس مدخل إلى علم الاجتماع

مطبوعة موجهة لطلبة التعليم الأساسي للعلوم الاجتماعية -سنة أولى-

إعداد : د. براهيمة نصيرة

السنة الجامعية 2018/2017

المحتويات.....الصفحة

02.....مقدمة

05.....المحور الأول : تاريخ علم الاجتماع (من الفكر الاجتماعي الى علم الاجتماع)

06.....تمهيد

06.....أولاً: التفكير الاجتماعي في الحضارات القديمة

08.....ثانياً: الظروف الممهدة لنشأة علم الاجتماع

09.....خلاصة

10.....مراجع المحور

11.....المحور الثاني : ميدان علم الاجتماع

12.....تمهيد

12.....أولاً: تعريف علم الاجتماع

16.....ثانياً: موضوع علم الاجتماع

17.....ثالثاً: مجالات علم الاجتماع

18.....رابعاً: علم الاجتماع و المنهج العلمي

19.....خامساً : علاقة علم الاجتماع ببعض العلوم الأخرى

22.....سادساً : مفاهيم أساسية في علم الاجتماع

25.....خلاصة

26.....مراجع المحور

28.....المحور الثالث : رواد علم الاجتماع

29.....	تمهيد
29.....	أولاً :عبد الرحمن ابن خلدون.....
31.....	ثانياً : اوغست كونت.....
34.....	ثالثاً : كارل ماركس.....
41.....	رابعاً : ماكس فيبر.....
45.....	خامساً : دوركايم.....
50.....	خلاصة.....
51.....	مراجع المحور.....
54.....	المحور الرابع : مداخل النظريات الكبرى في علم الاجتماع.....
55.....	تمهيد.....
55.....	أولاً :المدخل الخلدوني (الإسلامي).....
56.....	ثانياً : المدخل الوضعي و ما تفرع عنه (النظرية الوظيفية ،النظرية البنوية ، نظرية الفعل).....
57.....	ثالثاً : المدخل الماركسي و ما تفرع عنه (النظرية الماركسية ، النظرية الماركسية المحدثه).....
57.....	خلاصة.....
58.....	مراجع المحور.....
59.....	خاتمة.....
60.....	قائمة المراجع.....

مقدمة :

إن الولوج في أي فضاء معرفي يشترط امتلاك أدوات معرفية أساسية تذلل له صعوبات فهم الواقع الاجتماعي المعقد والمتشعب فهما ينطلق من البدايات الأولى لمأسسة هذا الفضاء المعرفي، المتقاطع نظريا ومنهجيا مع الكثير من الفضاءات المعرفية الأخرى، وذلك من خلال الإلمام بالقضايا التي طرحها واشتغل فيها الرواد الأوائل والتي إنبنت عليها مداخل النظريات الكبرى في علم الاجتماع، ومن ثم فعدم استيعاب مقياس مدخل إلى علم الاجتماع بالنسبة لطلبة السنة الأولى سيقف عائقا أمام امتلاك أي معرفة علمية متخصصة لاحقا، خاصة بالنسبة للمتخصصين في علم الاجتماع، هذا في ظل المجال الزمني الضيق جدا الممنوح لهذا المقياس والذي يفترض أن يكون سنوي وليس سداسي، لذا يجب على الطالب الذي يلتحق بهذا المجال البحثي (العلوم الاجتماعية والإنسانية) أن يمتلك حد أدنى من الخيال الاجتماعي وأن يكون على اطلاع عام: بالفلسفة، المعرفة العلمية، منهجية البحث في العلوم الاجتماعية والإنسانية وأهمية ودور العلوم الاجتماعية والإنسانية في المجتمع الجزائري وواقعها.

علم الاجتماع من التخصصات المعرفية التي اختلفت وجهات النظر حول موضوعه و منهجه و وحدة الدراسة الأساسية به، بل وحتى في البدايات الأولى لمأسسته و صاحب هذه المأسسة ،وكذا المجال الزمني الذي تمتد إليه، ذلك لأنه كغيره من العلوم تراكمي موسوعي اتجه لدراسة الظاهرة الاجتماعية وصفا وفهما و تفسيرا ولما لا تتبأ و تحكما في إطار محددات المكان و الزمان الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية و الثقافية من جهة ،ومن جهة أخرى الظروف الشخصية للمشتغلين بالدراسة في موضوعاته،لذا فإن اختلاف وجهات النظر لعلم الاجتماع ينبني بالأساس على وجهات النظر المختلفة للمجتمع و معايير ومحددات النعوت المختلفة التي تُطلق على ظواهره ما جعله يكتسب القدرة النقدية التمييزية و التكاملية في آن واحد في دراسته لظواهر المجتمع المختلفة ،ولعل هذا السبب المباشر للمكانة و الأهمية التي احتلها علم الاجتماع بين العلوم بصفة عامة و العلوم الاجتماعية بصفة خاصة ،وما يُترجم هذه المكانة السياسات و التدابير و الإجراءات التي يتم اتخاذها كل مرة اتجاه العلم و المشتغلين به و ذلك بين تمكين و تسخير و تطويع و تهميش و استبعاد .

تحاول هذه المطبوعة البيداغوجية الدخول إلى علم الاجتماع من خلال الحديث على خمس محاور رئيسية ،يتناول المحور الأول تاريخ علم الاجتماع من التفكير الاجتماعي في الحضارات القديمة إلى الظروف الممهدة لصياغة علم اجتماعي جديد ، أما المحور الثاني المُعنون بميدان علم الاجتماع فقد فصل في

تعريف علم الاجتماع ،موضوعه ،مجالاته،استخدامات المنهج العلمي به،علاقاته ببعض العلوم الأخرى،أهم المفاهيم المستخدمة فيه ،في حين تطرق المحور الثالث إلى رواد علم الاجتماع بدءا بعبد الرحمان ابن خلدون ثم اوغست كونت ثم كارل ماركس،ماكس فيبر،اميل دوركايم ، أما المحور الرابع فيواصل الحديث عن امتداد أعمال الرواد الأوائل و مداخل النظريات الكبرى المنبثقة عن إسهاماتهم المعرفية(الخلدوني ،الوضعي ،الماركسي)،و في الأخير اختتمت المطبوعة البيداغوجية بخاتمة ثم قائمة المراجع .

المحور الأول : تاريخ علم الاجتماع (من الفكر الاجتماعي إلى علم الاجتماع)

تمهيد

أولا : التفكير الاجتماعي في الحضارات القديمة

ثانيا : الظروف الممهدة لظهور علم الاجتماع

خلاصة

مراجع المحور

تمهيد: إن علم الاجتماع تخصص معرفي كغيره من العلوم الأخرى لم يتواجد في الفضاء العلمي من العدم و لم تتضح معالمه من حيث تعريفه و منهجه و مواضيعه و حدود اختصاصه منذ البداية ،لذا تعتبر العودة إلى السياقات التاريخية المنتجة له ضرورة معرفية لا يمكن تجاوز الإشارة إليها خاصة و أنها ستقف كإطار تفسيري للكثير من القضايا المعرفية و المنهجية التي كان الاختلاف حولها واضحا بين مختلف الاتجاهات النظرية .

أولا : التفكير الاجتماعي في الحضارات القديمة

إن التفكير العلمي للظواهر الاجتماعية لا يرجع إلى عهد بعيد ، إلا أن المسائل أو القضايا المتعلقة بحياة المجتمع ظلت تشغل عقول المفكرين منذ أزمنة بعيدة أي منذ بدأ الإنسان يتفاعل مع غيره و يتبادل معه مختلف الخبرات المتعلقة بكل جوانب الحياة الاجتماعية و لكن هذا التفكير لا يصح أن ينعت بأنه تفكير علمي لأنه لا يتبع منهج علميا للبحث وليس لديه غرض وهدفه يقتصر على تدليل بعض المصاعب ،كما أنه أحد المؤشرات الهامة التي يمكن من خلاله تمييز حضارة عن أخرى ،أي أن التفكير الاجتماعي يختلف من تجمع بشري إلى آخر و على هذا الاعتبار يمكن الحديث عن تفكير اجتماعي في : مصر القديمة(الحضارة الفرعونية) ،الصين ،الفرس ،الهند ،الرومان ،اليونان ،العرب...،وقبل هذا عن تفكير اجتماعي بدائي أي عند الإنسان البدائي خاصة و أن ظهور الكتابة حوالي 6000-5000 ق.م تمثل البداية الأولى لكتابة تاريخ البشرية و بالتالي إعطاء الصورة واضحة عن التفكير الاجتماعي المميز لكل حضارة .

رغم أن الحياة البشرية في العصور البدائية اتسمت بالبساطة والسذاجة والجمود والوحشية وتقديس الأجداد والأرواح والشعوذة إلا أن " كل ثقافات العالم المعاصرة تدين بدرجة ما لهؤلاء الملايين من البشر الذين عاشوا في عصور ما قبل التاريخ ،و استطاعوا بإمكانياتهم البسيطة الساذجة تهيئة الظروف لمن أتو بعدهم لتحقيق التقدم الحضاري الذي عرفته العصور الحديثة "(محمد خلاصي ،2015،ص33) ،على غرار التفكير الاجتماعي في مصر القديمة التي لم تتخلص من سيطرة وسطوة الحكام ورجال الدين إلا أنه كان تفكيراً عملياً أي أنه ابتعد عن المثالية و التجريد و اقترب أكثر إلى الواقع ، "فقد ظهر التقدم في الرياضيات و العلوم مع التقدم في النواحي المادية و الاقتصادية ،و تقدم الحساب بتقدم الحاجة إلى وجود حسابات منظمة للعمليات التجارية ،ولتبادل البضائع وبناء الطرق وجمع الضرائب وتقديرها ،وتقدمت الهندسة حينما أراد المصريون ضبط مياه النيل و بناء الخزانات وحفر القنوات وإقامة السدود وتشبيد الأهرامات و المعابد وتقدم الفلك حينما ظهرت الحاجة لضرورة التنبؤ بالفيضان السنوي للنيل والتنبؤ للملاحة للأغراض التجارية "(محمد

خلاصي، 2015، ص57)، أما أكثر ما يميز التفكير الاجتماعي الصيني هو التركيز على فن السلوك و نظام الحكم و إهمال العلوم الأخرى كالحساب و الجغرافيا رغم ازدهار استخدام المنطق البرهاني و الرياضيات و التأصيل النظري في حضارات معاصرة لها (الإغريق) ،أي أن التفكير الاجتماعي الصيني كان تفكيراً خاضعاً و مقدساً للتقاليد و الماضي خاصة و أنها عرفت ثلاث ديانات (الكنفوشية، البوذية، الطاوية) كانت تعتبر المرجع الأخلاقي والعلمي و الاقتصادي لكل نواحي الحياة لذا نجد في تعاليمها تفسيراً لمميزات الحضارة الصينية ،وعموماً يعتبر التفكير الاجتماعي في الشرق القديم (مصر،الصين،الهند ،الفرس،العرب قبل الإسلام،وادي الرافدين،اليابان) أول تفكير منظم حاول إخضاع الظواهر للسببية بعيداً عن العشوائية و الشعوذة (نسبياً) مركزين في بحوثهم على ما ينبغي أن تقوم عليه النظم الاجتماعية في إطار الجمود و الحد من الحرية الفردية ،كما لم يجتهدوا في إقامة دراستهم على أسس علمية أو مناهج بحث و كانت تنقصهم النزعة التحليلية ،في حين ظهر التفكير الاجتماعي في الغرب القديم (اليونان ،الرومان) أكثر تنظيماً من الناحية العلمية و العملية وأسبق في الوصول إلى فكرة القانون العلمي و فكرة البرهان المنطقي ومعالجة الفكر الاجتماعي ببحوث أكثر عمق و دقة ،حيث يؤكد " أفلاطون بصفة خاصة على وحدة الكائن الحي العضوي الاجتماعي بالدرجة التي لا تُعرف فيه الأجزاء إلا في حدود خضوعها للكل و على العكس من ذلك تصور أرسطو المجتمع كبناء متميز تظل فيه الأجزاء أو العناصر منفصلة و مستقلة عن الكل و إن كانت تكونه" (السيد عبد العاطي السيد، 2005، ص14) ، لذا نجد أن أفلاطون يقسم النفس البشرية إلى ثلاث قوى أساسية ، يجب تحقيق الانسجام بينها كي تتحقق السعادة الكاملة وهي الشهوة le désir ، القلب le cœur ، العقل le raison وهي مرتبطة بثلاث فضائل العفة الشجاعة الحكمة ،أراد أفلاطون أن يحقق هذا الانسجام في المدينة الفاضلة التي اقترحها فرأى أن يقوم الفلاسفة مقام الرأس من جسم الإنسان و يطلق عليهم نعت الحكمة ، و يقوم المحاربون مقام القلب و نعتهم الأساسي الشجاعة ، أما طبقة الزراع – التجار – الصناع فيرتبط وجودهم بالشهوات المادية ، و في مقابل أفلاطون نجد أن أرسطو الارستقراطي يدعو إلى أن تتكفل كل المدينة براحة المفكرين أي إباحة الرقيق و تسخير العبيد للقيام بجميع الأعمال المادية حتى يتفرغ الحكماء و المفكرين و الفلاسفة للتفكير وشؤون العقل ،كما نجد التفكير الاجتماعي الروماني الذي يعتبر امتداداً للتفكير الاجتماعي اليوناني والذي كان " أكثر ميلاً للفن و الطرق العملية فإذا كان اليونان عرفوا كيف يفكرون فإن الرومانيين عرفوا كيف يعملون ،وبالتالي الرومانيون عرفوا كيف يحكمون " (محمد خلاصي، 2015، ص185)

ثانيا : الظروف الممهدة لظهور علم الاجتماع

يذهب الكثير من مؤرخي الفكر الاجتماعي و دراسي النظرية الاجتماعية إلى أن ظهور علم الاجتماع في القرن 18 يرجع بصورة رئيسية إلى التمهيد الذي قامت به نظريات العقد الاجتماعي والتي كان ظهورها نتيجة تفاعل ثلاث أحداث رئيسية تمثلت في انهيار الكنيسة الكاثوليكية بتأثير نجاح الثورة البروتستانتية، تحرر التفكير العلمي و اتساع نطاقه من العلوم الطبيعية إلى العلوم الاجتماعية ،انهيار القيم والأفكار الاجتماعية للقرون الوسطى بما فيها اقطاعيات النبلاء و استبدالها بنظام اجتماعي عقلاني تسوده النزعة الفردية ،ظهرت نظريات التعاقد الاجتماعي في أفكار الفيلسوفين الانجليزيان "توماس هوبر"(1588-1679) و"جون لوك"(1632-1704) والفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو"(1712-1778) وتطورت " كنظرة بديلة للعالم ترفض أفكار القانون الإلهي المقدس و التصورات الدينية عن العبودية ، لقد ردت نظرية العقد الاجتماعي نشأة المجتمع إلى بناء من الالتزامات التعاقدية و العلاقات الاجتماعية المتبادلة "(السيد عبد العاطي السيد ،2005، ص 15)، أي أن توماس هوبز و جون لوك وجان جاك روسو اعتقدوا بوجود حالة فطرية للمجتمعات سابقة عن التنظيم الاجتماعي وأن الأفراد عندما تشابكت مصالحهم وتعدت أحوالهم قرروا إنشاء حياة اجتماعية منظمة أثمرت العقد الاجتماعي أي أن " النظام الاجتماعي حق مقدس يصلح قاعدة لجميع الحقوق الأخرى و مع ذلك فإن هذا الحق لا يصدر عن الطبيعة مطلقا و هو إذا قائم على عهود" (محمد الشربيني، 2016، ص224) ، إلا أنهم يختلفون حول حقيقة العامل أو السبب الذي دفع الناس إلى التوقيع على العقد الاجتماعي وإنهاء حالة الفوضى، فيعتقد هوبز أن خوف الإنسان من أخيه هو السبب (الإنسان ذئب لأخيه الإنسان)، أما لوك فيعتقد أنها رغبة الإنسان في الحفاظ على ممتلكاته في حين يرجعها روسو في إلى رغبة الإنسان في نشر مبادئ العدالة الاجتماعية وتعزيز المصلحة الجماعية خاصة و أنه مقتنع بأن "البشر ليسوا أشرا بطبيعتهم لكنهم باتوا كذلك بشكل متكرر جدا تحت وطأة الحكومات العقيمة التي أنتجت الرذائل" (محمد الشربيني ، 2016، ص17).

لا تنحصر الاتجاهات الفكرية الأولى التي مهدت لظهور علم الاجتماع في مدرسة العقد الاجتماعي ومفكروها وإنما تشمل العديد من المدارس الفكرية و المفكرين على غرار: مونتسكيو الذي تحدث عن أصل القوانين و ضرورة مطابقتها لروح العصر الذي تُشرع فيه و بالتالي انتفاء أي أصل قدسي و ديني لها ،مدرسة فلسفة التاريخ التي بحث مفكروها في نشوء المجتمع والتقدم الحضاري من خلال البعد

التاريخي(جيوفاني فيكو، هيجل، كوندراسيه..)،مدرسة الفلسفة الاقتصادية "النفعية" التي ركزت على مسائل النظام الاقتصادي الحر و المنفعة و القيمة (كيناى، آدم سميث،...) .

في نهاية القرن 18 شهدت أوروبا مجموعة من الأحداث أدت إلى صياغة تجريدات نظرية تحاول فهم الواقع المشوش و إيجاد طرق لتنظيمه تمثلت هذه الأحداث أساسا في الثورة الفرنسية و الثورة الصناعية ، حيث أطاحت الثورة الفرنسية " بمؤسسات المجتمع القديم و تبنت مفاهيم جديدة منها تأكيدها على حقوق الإنسان و المواطنة في علاقتهما المباشرة بالدولة ،بروز دور الفرد الفاعل كشكل مميز للمجتمع الصناعي الأوربي ،سيادة الاتجاه النقدي الذي ينطلق من الفاعل الفرد وهو المفهوم المركزي الذي نما مع فلسفة الأنوار"(خالد حامد ،2015،ص69) ، أما الثورة الصناعية فقد طرحت منطفا ثقافيا وتكنولوجيا جديدا كانت له آثاره البعيدة في تغيير الأبنية الاجتماعية لمختلف المجتمعات الأوروبية ، وما زاد موقف مأسسة علم الاجتماع وضوحا تقدم مناهج العلوم الطبيعية وما صاحبها من تغيرات واضحة على قواعد وأنظمة السياسة والاقتصاد والاجتماع ، حيث استعان الكثير من علماء الاجتماع بمناهج العلوم الطبيعية في دراسة الظواهر الاجتماعية في محاولة لبلوغ الدقة والتطور في دراسة الظاهرة الاجتماعية .

خلاصة

إن اختصاص علم الاجتماع بالبحث الدقيق والتفسير المنطقي والتحليل الواقعي والفهم الواضح لمختلف الظواهر الاجتماعية هو ما يبرر ولادته العسيرة في إطار مجموعة من الأزمات التي شملت كافة البنى الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية و الثقافية للمجتمعات استنادا للسياق التاريخي الذي رسمته مختلف المحاولات الفكرية في الحضارات القديمة ،ورغم أن إسهامات الرواد الأوائل في صياغة نظرية اجتماعية كان قاصرا إلا أن ظهور اتجاهات نظرية حديثة أكثر دقة لم يتأتى إلا من خلال الوقوف عند هذه الإسهامات إما على سبيل التطوير أو على سبيل النقد .

مراجع المحور

- 1-محمد خلاصي : تكور الفكر التربوي ،مخبر التطبيقات النفسية و التربوية جامعة قسنطينة 2،دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع ،الجزائر ،2015، ص 33
- 2-المرجع نفسه ،ص57
- 3-السيد عبد العاطي السيد :النظرية في علم الاجتماع ،دار المعرفة الجامعية للنشر و التوزيع ،الاسكندرية ،2005،ص 14
- 4-محمد خلاصي ،مرجع سابق ،ص185
- 5-السيد عبد العاطي السيد ،مرجع سابق ،ص15
- 6-محمد الشربيني :جان جاك روسو والعقد الاجتماعي ،(ترجمة عادل زعيتر) ،فروس للنشر والتوزيع القاهرة ،2016، ص 225
- 7-المرجع نفسه ،ص 17
- 8-خالد حامد :مدخل إلى علم الاجتماع ،الطبعة الثالثة ،جسور للنشر و التوزيع ،الجزائر ،2015، ص69

المحور الثاني : ميدان علم الاجتماع

تمهيد

أولاً: تعريف علم الاجتماع

ثانياً: موضوع علم الاجتماع

ثالثاً: مجالات علم الاجتماع

رابعاً: علم الاجتماع و المنهج العلمي

خامساً : علاقة علم الاجتماع ببعض العلوم الأخرى

خلاصة

مراجع المحور

تمهيد: إن خصوصية الظاهرة الاجتماعية و تميزها عن الظاهرة الطبيعية التي كانت علومها سبّاقة للانفصال عن الفلسفة و استخدام المنهج العلمي في دراسة مواضيعها ،تقف وراء الصراع الذي خاضه المشتغلون بالعلوم الاجتماعية بصفة عامة و علم الاجتماع بصفة خاصة من أجل إثبات علمية العلوم الاجتماعية ،خاصة ما تعلق بكون الباحث جزء من موضوعه و بالتالي عدم القدرة على التخلي على ذاتيته أي التحلي النسبي بالموضوعية هذا من جهة ،ومن جهة أخرى التغير الدائم وعدم الثبات الذي يميز موضوع الدراسة في هذه العلوم و المتعلق أساسا بالظاهرة الاجتماعية التي ينتجها الإنسان ثم يعطيها مدلولات مختلفة ،وما زاد الوضع صعوبة هو تحكم تنشئة الفرد وتمثلاته الاجتماعية وظروفه الاجتماعية و السياسية و الاقتصادية و الثقافية في فهمه للظواهر التي ينتجها.

إن استحالة إيجاد إطار تجميعي موحد لفهم مدلولات الظواهر الاجتماعية يؤدي بالضرورة استحالة صياغة نموذج تفسيري موحد لها ،والذي سيختلف باختلاف الزمان و المكان و المعطيات الاجتماعية و السياسية و الثقافية و الاقتصادية و الثقافية أي استحالة الاتفاق على طريقة موحدة في استخدام العلم الذي يقدم هذا النموذج التفسيري ،و على هذا الأساس نُظر إلى علم الاجتماع كعلم يشغل بدراسة الظواهر الاجتماعية نظرة مختلفة من حيث المنهج و الموضوع و الهدف و الأدوات المستخدمة فيه و كيفية استخدامه للمنهج العلمي وحدود علاقاته مع علوم أخرى اجتماعية و إنسانية و طبيعية بل و حتى من حيث تعريفه ،و سنحاول فيما يلي التطرق لهذه النقاط .

أولاً: تعريف علم الاجتماع

إن القول بحدثة علم الاجتماع و ارتباط ظهوره بالإرهاصات التي عرفتھا المجتمعات الأوروبية بداية من القرن 18 يحدث قطيعة معرفية مع أي محاولة للحديث عن هذا العلم قبل القرن 18 ، إلا أن الشواهد التاريخية تؤكد وجود تحديدات دقيقة للعلم و ليس مجرد محاولات بدءا بتعريفه إلى تحديد موضوعه و منهجه و علاقته مع بعض الفضاءات المعرفية الأخرى من طرف العلامة عبد الرحمان ابن خلدون الذي أطلق لفظ علم العمران البشري على " علم مستقل بنفسه فإنه ذو موضوع و هو العمران البشري و الاجتماع الإنساني ،و ذو مسائل و هي بيان ما يلحقه من العوارض و الأحوال لذاته واحدة بعد الأخرى و هذا شأن كل علم من العلوم وضعيا كان أو عقليا " (عبد الرحمان ابن خلدون ، 2006، ص 44) ، إلا أن عالم الاجتماع الفرنسي أوغست كونت يعتبر أول من استخدم لفظ علم الاجتماع سنة 1849 في محاولة لإنشاء علم يكشف قوانين المجتمع بغرض المحافظة على استقراره وثباته بعد أن أدرك الحاجة إلى امتلاك فيزياء اجتماعية من أجل

استكمال نسق المعرفة بالطبيعة، على اعتبار أنها تستطيع دراسة الظاهرة الاجتماعية بموضوعية بنفس قدرة الفيزياء الفلكية والنباتية والحيوانية ...، يتكون لفظ علم الاجتماع sociologie من كلمتين « logie: تشير إلى أو تتضمن دراسة على مستوى عال، بينما تشير كلمة socio: إلى المجتمع، وهكذا يعني علم الاجتماع من الناحية الاشتقاقية، دراسة المجتمع على مستوى عال م التجريد والتعميم » (محمد عاطف غيث، 1986، ص 112)، أما التعريفات الاصطلاحية لعلم الاجتماع تواجه الكثير من التعقيدات خاصة أن تعريف علم الاجتماع مرتبط بوجهات النظر المختلفة لموضوعات العلم وخصائصه ومنهجه من جهة وللوحدة الأساسية في التحليل السوسيولوجي من جهة أخرى، وهذا ما يحتم علينا استعراض تعريفات متعددة لعلم الاجتماع لا يمكن إيجاد فواصل بينها إلا من خلال التعمق في السياقات التاريخية التي انبثقت منها الدلالات المعرفية لكل تعريف ارتبط بحركة عقلية وإيديولوجية معينة .

« إن علم الاجتماع لم يظهر على أيدي سكان الكهوف لأنهم لم يمتلكوا الأدوات الثقافية اللازمة لذلك، لم يحدث إلا في عصر التنوير في القرن الثامن عشر أن تكاثف التغير الاجتماعي والتقدم العلمي والتفكير النقدي ليقود الناس إلى الحقيقة التي تقول أن المجتمع مثل أي شيء آخر هو من صنع الإنسان ومن تم فهو متغير وغير ثابت » (ريتشارد أوزيرن و بورن فان لون، 2005، ص 31)، ومن ثم فالقول ببساطة أن علم الاجتماع هو علم المجتمع أو علم دراسة وتفسير ظواهر المجتمع يطرح استقهامات عن الطريقة التي يتطور ويتغير بها المجتمع، وكذا وجهات النظر المختلفة حول النظرة إلى المجتمع بل الاعتراف بوجود أو عدم وجوده أي أن محاولة تقديم تعريف لعلم الاجتماع يجب أن تتبني عن كونه انعكاس لجملة من الأزمات الاجتماعية والاقتصادية و السياسية و الفكرية أدت إلى إحداث ثورة معرفية في المفاهيم الاجتماعية وبالتالي بروز اتجاهات فكرية متعددة نظرت للمجتمع وظواهره بطريقة مختلفة انسحبت على نظرتهم للعلم الذي يختص بدراسة هذا المجتمع وظواهره منذ البدايات الأولى: إن أسبقية الإصلاح العلمي على الإصلاح الاجتماعي التي دعى إليها أوغست كونت كانت في إطار دعوته لتأسيس علم اجتماعي يعنى بفهم وتفسير ظواهر المجتمع ومن ثم تنظيمه، واعتبر على هذا الأساس علم الاجتماع بأنه « الدراسة الواقعية المنظمة للظواهر الاجتماعية » (محمد عاطف غيث، 1986، ص 15) التي يختلف محتواها الاجتماعي من مفكر لآخر ومن حقبة زمنية لأخرى، لذا عرف أوغست كونت علم الاجتماع بأنه « علم الفهم la science de l'entendement » (Raymond Aron, 1967, p121)، وبالتالي حتى نفهم كيف يوظف العقل البشري المعاني يجب أن يفهم المحتوى الاجتماعي بإدراكه من خلال ملاحظة الأفعال عبر التاريخ وفي المجتمع، أما « علم اجتماع كارل ماكس فهو علم اجتماع صراع الطبقات » (Raymond Aron, 1967,)

(p189)، الاجتماعية في المجتمع الرأس مالي، طبقة برجوازية مالكة لوسائل الإنتاج وطبقة عاملة (بروليتاريا) كادحة غير مالكة لوسائل الإنتاج، هذا الصراع يعتبره ماركس محرك للتاريخ، والرأسمالية ما هي إلا منطقة عبور للاشتراكية حيث تنعدم الطبقات في المجتمع، في حين نجد أن تصور اميل دوركايم لعلم الاجتماع ينحصر في كل ما هو اجتماعي موضوعا وتفسيرا معتبرا أن علم الاجتماع هو العلم « الذي يدرس أساسا الظواهر الاجتماعية ويشرحها أو يفسرها بطريقة اجتماعية » (Raymond Aron, 1967, p363)، أي أن اميل دوركايم ينفي كل ما هو غير اجتماعي سواء نفسي أو بيولوجي في إنتاج الظواهر الاجتماعية المختلفة والتحكم فيها، وفي سياق تحليلي آخر يحاول علم الاجتماع الذي قدمه ماكس فيبر أن « يضع إطارا مركبا يجمع فيه بين التأكيد الوضعي على التحليل السببي وبين التصور التفسيري للفهم » (السيد عبد العاطي السيد، 2005، ص 178)، أي أن علم الاجتماع عند ماكس فيبر هو العلم الذي يحاول انجاز الفهم التفسيري للعقل الاجتماعي من أجل الوصول إلى نتائجه ومساراته في مجتمع يعبر عن مجموع العلاقات الاجتماعية بين مجموعة من الفاعلين الاجتماعيين يقومون بادوار داخل المجتمع .

يؤيد جورج لند برج (Lindbergh) القول بأن علم الاجتماع هو « مجموعة من التعميمات المترابطة تدور حول السلوك الاجتماعي الإنساني الذي نصل إليه عن طريق استخدام المناهج العلمية » (محمد عاطف غيث، 1986، ص 113)، وذلك في إطار المماثلة المنهجية التي أجريت الظاهرة الطبيعية وطرف دراستها وما حققته من نتائج وبين الظاهرة الاجتماعية والنتائج التي يمكن أن تحققها، بينما يركز التعريف الذي يؤيده جورج لند برج على موضوع علم الاجتماع والمتمثل في السلوك الاجتماعي الإنساني وفي منهج دراسته المماثل للمنهج العلمي لدراسة الطبيعة، يقدم كل من أجبيرن Ogburn ونيمكوف Nimkoff تعريف موجز لعلم الاجتماع على أنه الدراسة العلمية للحياة الاجتماعية التي تقوم على التفاعل المنظم والذي ينتج في النهاية الثقافة التي لا يمكن فصلها عن الحياة الاجتماعية التي تعتبر موضوعا للدراسة بالنسبة لهما، أما سوروكن Sorokin فيعرف علم الاجتماع بأنه « دراسة الخصائص العامة المشتركة بين كل أنواع الظواهر الاجتماعية » (محمد عاطف غيث، 1986، ص 114)، على اعتبار أن الخصائص العامة تعبير عن العلاقات الموجودة بين الظواهر الاجتماعية مع بعضها البعض من جهة وبين الظواهر الاجتماعية وغير الاجتماعية من جهة أخرى « وعلى الرغم من طبيعة علم الاجتماع التعميمية فسيظل علما خاصا » (محمد عاطف غيث، 1986، ص 94)، وقد قسم سوروكن علم الاجتماع إلى علم الاجتماع العام وعلوم الاجتماع الخاصة حيث يختص علم الاجتماع العام بدراسة الخصائص المشتركة بين الظواهر الاجتماعية أما علوم الاجتماع الخاصة فتتخصص بالتفصيل في دراسة ظاهرة معينة مع المحافظة على تساند الظواهر وارتباطها،

وفي موقف آخر يرى روبرت ما كيفير R.Maciver أن علم الاجتماع هو دراسة العلاقات الاجتماعية التي يتكون من نسيجها المجتمع وبالتالي لا لإقحام الثقافة عند دراسة الظواهر الاجتماعية إلا في الحدود التي تكون فيها الإشارة إلى التأثير الثقافي على الظاهرة الاجتماعية ضروري من أجل فهمها وتفسيرها، وهذا ما يتعارض مع ما ذهب إليه جونسون حيث أعطى أهمية للثقافة مؤكدا أنها تقف وراء عمليات التغير والتعديل والتهيؤ في حاجات ومطالب الإنسان ونشاطاته وعلاقاته وتفاعلاته الهادفة، أي أن جونسون يعرف علم الاجتماع في ضوء الفعل الاجتماعي بأنه « العلم الذي يتناول بالدراسة الجماعات الاجتماعية من حيث صور أو نماذج تنظيمها الداخلي والعمليات التي تميل إلى استمرار أو تغير هذه الصورة التنظيمية والعلاقات بين الجماعات » (محمد عاطف غيث، 1986، ص 117)، وفي ذات السياق يعود ريتشارد أوزيرن و بورن فان لون إلى التأكيد على أهمية الثقافة والدور الذي تلعبه عند وضع تعريف للعلم الذي يشغل بقضايا المجتمع وظواهره أي أن تعريف علم الاجتماع يجب أن يظهر فيه اعتناءه بالتغير الحاصل في المجتمعات وبالتباين الموجود بينها والذي تتسبب فيها الثقافة وبالتالي فعلم الاجتماع بالنسبة لهما هو العلم الذي « يفسر التغير الاجتماعي ويشرحه وكذلك الطريقة التي يعمل بها المجتمع والموقع الذي يلائم فرد ما دون غيره » (ريتشارد أوزيرن و بورن فان لون، 2005، ص 18)،

إن تقديم تعريف شامل لعلم الاجتماع كإطار تجميعي من الصعوبة بمكان ذلك أن ظواهر المجتمع ومحتواها تتغير من زمن إلى آخر ومن بيئة ثقافية لأخرى بل قد تختلف النظرة إلى ذات الظاهرة أو المحتوى الاجتماعي في نفس البيئة ونفس الزمن بسبب اختلاف تمثل الفاعلين لنفس الظواهر والذي تتحكم فيه خبرات وتجارب الفاعل، صفاته الشخصية وكذا التغير السريع والمستمر لمعطيات الواقع، لذا فإن محاولة تقديم تعريف لعلم الاجتماع عبارة عن استعراض لتعريفات قدمها مفكرون تواجدوا في بيئات اجتماعية وثقافية وسياسية واقتصادية مختلفة أثر على نظرتهم للطريقة التي يجب أن ينتظم بها العلم الذي يدرس ظواهر مجتمعهم من خلال التركيز على موضوعه أو منهجه أو موقعه في فضاء العلوم بصفة عامة وفضاء العلوم الاجتماعية بصفة خاصة، وبالتالي هل عدم إيجاد صيغة شاملة لهذا العلم صالحة للتطبيق في كل زمان ومكان ولو بشكل تقريبي تعني القول بأن علم الاجتماع هو ابن بيئة المشتغل فيه الصائغ لمقولاته وأدوات الدراسة فيه، وهكذا هل يمكن أن تتواجد جرأة منهجية تسعى في إطار تطويري ونقدي لصياغة علم اجتماع جزائري يكشف النقاب عن الخفي واللامقول - على حد تعبير دوركايم - عند دراسة ظواهره التي تمتلك خصوصية اجتماعية وتاريخية وثقافية واضحة المعالم في إطار التثاقف الكوني الذي تجاوز كل الحدود .

ثانيا: موضوع علم الاجتماع

إن تحديد منهج وموضوع وعلاقة علم الاجتماع بالعلوم الأخرى كان شغل الرواد الأوائل منذ تأسيسه، فنجد أوغست كونت بداية يقسم علم الاجتماع إلى موضوعين: الاستقرار الاجتماعي (الأستاتيكيا) والتطور الاجتماعي (الديناميكيا) ورغم ما وُجه لهذا التقسيم من انتقادات إلا أن القالب العام للتقسيم مازال يحظى بموافقة العديد من الاتجاهات النظرية التي أجرت تعديل على مستوى التسمية وكذا على مستوى دلالات التسمية، فقسمت علم الاجتماع إلى موضوعين: البناء الاجتماعي بدل الاستقرار الاجتماعي والتغير الاجتماعي بدل التطور الاجتماعي وهو ذات السياق الذي قسم به اميل دوركايم موضوع الدراسة في علم الاجتماع إلى موضوعين: الأول المورفولوجيا الاجتماعية والتي يقصد بها البناء الاجتماعي و الثاني الفيسيولوجيا الاجتماعية والتي يقصد بها الوظائف التي يؤديها هذا البناء كما يحدد اميل دوركايم خصائص الظاهرة الاجتماعية (موضوع الدراسة في علم الاجتماع) ويعبر عن اختلاف معالجة علم الاجتماع لها مقارنة بالعلوم الاجتماعية الأخرى مؤكدا أن عالم الاجتماع عند دراسته للظاهرة الاجتماعية يخصص ويحدد ويدقق في إطار الارتباط الكلي للظواهر التي تنتمي للمجتمع ككل متكامل، ومع تقدم العلم و تجاوزه لمشاكل النشأة الأولى واتساع نطاق النظرية السوسيولوجية وكذا تطور طرائق البحث الاجتماعي خاصة مناهج البحث الكمية، أصبح الحديث عن موضوع علم الاجتماع يتم في إطارين عام وخاص، حيث يعنى الإطار العام للدراسة في علم الاجتماع بدراسة علاقة المجتمعات البشرية بالبيئة المحيطة بها سواء كانت بيئة طبيعية متمثلة أساسا في المناخ والتضاريس أو اجتماعية متعلقة بمجتمعات وثقافات أخرى، هذا من جهة ومن جهة أخرى يهتم الإطار العام لعلم الاجتماع بدراسة نشأة وتطور وكذا أسباب التغيرات الحاصلة في المجتمعات وأثار تلك التغيرات، أما الإطار الخاص لعلم الاجتماع فيعنى بدراسة الجماعات الاجتماعية، العلاقات الاجتماعية، العمليات الاجتماعية (غني ناصر القرشي ،2011،ص71) ،و أيضا الأفعال الاجتماعية، المؤسسات الاجتماعية، الثقافة، الشخصية، ...إلخ، أي أن الموضوع الذي يدرسه علم الاجتماع يستمد بنائه ووظيفته من عمليات ونتائج التفاعل الاجتماعي بمعنى أن علم الاجتماع لا يدرس الظواهر العرضية الغير متكررة وإنما يدرس الظواهر القائمة على تفاعل حقيقي بين طرفين يتم في مستوى اجتماعي يؤدي إلى تعاون أو صراع بين الطرفين وله أهداف واضحة تنتج عنه سلوكيات معينة في إطار القيم والضوابط الاجتماعية التي يتم فيها .

ثالثاً : مجالات علم الاجتماع

يهدف علم الاجتماع بصفة عامة إلى دراسة المجتمع وظواهره المختلفة من خلال البحث عن الأسباب المباشرة وغير المباشرة الكامنة وراء حدوثها وذلك من أجل الوصول إلى هدف أكبر وهو التنبأ بحصول هذه الظواهر ثم التحكم بها، وذلك في مجتمع تتسارع فيه عمليات التغير سواء من حيث التعقيد أو زيادة حجم المدن وعدد السكان أو تداخل الانماط الثقافية والذي ينتج عنه بهتان أنماط ثقافية وبروز أنماط جديدة، أي أن الباحث في علم الاجتماع ما إن ينتهي من صياغة نظرية تفسر المجتمع إلا ويجد نفسه أمام مجتمع آخر بمحددات أخرى تتطلب نظرية أخرى تعالج معطياته.

إن اختصاص علم الاجتماع بدراسة ظواهر المجتمع من جهة وكون ظواهر المجتمع متغيرة باستمرار، يجعل من تطوير وتغيير أساليب البحث في علم الاجتماع ضرورة منهجية ومعرفية ملحة بشكل يراعي التنوع والاتساع الذي يميز الظواهر الاجتماعية والفضاءات التي تتموقع فيها وبالتالي كلما برز للوجود الاجتماعي ظاهرة اتسع نطاقها وزاد تأثيرها برز للوجود العلم اجتماعي تخصص يتجه لدراستها بأدوات تتواءم وخصائصها، أي أن تنوع وتعدد مجالات البحث في علم الاجتماع مرتبط بتنوع وتعدد الظواهر الاجتماعية التي يتجه علم الاجتماع إلى دراستها على غرار الظاهرة الإجرامية، الظاهرة الاتصالية، الظاهرة الثقافية، الظاهرة التربوية، الظاهرة التنظيمية، الظاهرة الحضرية، الظاهرة الريفية، الظاهرة الرياضية، الظاهرة العسكرية .

إذا تميزت مجالات علم الاجتماع (موضوع، منهج، أدوات) عن بعضها البعض ضرورة فرضتها تميز الظواهر الاجتماعية وتعدد فضاءات حدوثها من جهة وعدم قدرة الباحث الواحد في علم الاجتماع على التخصص والتفصيل في كل ظاهرة على حدة، إلا أن هذا التمايز لا يتم إلا في إطار التكامل مع بعضها البعض خاصة وأن هذه المجالات تدرس نفس الواقع الاجتماعي وتنوعها جاء من تنوع هذا الواقع هذا من جهة ومن جهة أخرى يستحيل رسم حدود فاصلة واضحة بين مجالات علم الاجتماع بصفة خاصة وبين ميادين العلوم الاجتماعية وميادين المعرفة بصفة عامة، أي أن تنوع مجالات علم الاجتماع يعبر عن تنوع المداخل التي يمكن أن تدرس بها نفس المشكلة البحثية كلما تغير الفضاء الذي تتموقع فيه وعلى هذا الاعتبار تبرز عدة مجالات (تخصصات) للدراسة في علم الاجتماع قد يحصل الاختلاف في النعوت والتسميات التي تطلق عليها باختلاف الدول والجامعات على غرار: علم اجتماع الجريمة، علم اجتماع

الاتصال، علم الاجتماع الثقافي، علم الاجتماع التربوي، علم الاجتماع التنظيم والعمل، علم الاجتماع الحضاري، علم الاجتماع الريفي، علم الاجتماع الرياضي، علم الاجتماع العسكري.

رابعاً: علم الاجتماع والمنهج العلمي

إن استخدام المنهج العلمي في العلوم الاجتماعية في الحقيقة هو ما قاد التفكير الاجتماعي من الحالة ما قبل العلمية إلى الحالة العلمية، التي أصبح فيها الميل إلى تحديد المشكلات والفصل بين ما هو قابل للتحقيق العلمي وبين ما هو تأملي، مع ضبط المقتضيات المنهجية وطرائق البحث الملائمة التي تفسر الظاهرة الاجتماعية تفسيراً علمياً دقيقاً يصل إلى درجة التنبؤ بها والذي يعتبر غاية العلوم القصوى رغم صعوبة تطبيقه في العلوم الاجتماعية مقارنة بالعلوم الطبيعية، نظراً لتعدد مادة الدراسة وتداخل العوامل المكونة لها وكذا خضوعها لعوامل التغير الاجتماعي، أي أن المنهج العلمي يعتبر الإستراتيجية العامة التي يرسمها الباحث كي يتمكن من حل مشكلة بحثه بالاعتماد على جملة من القواعد والخطوات تختلف باختلاف أنواع البحوث وطبيعة المواضيع المدروسة وذلك من أجل تحليل تتابع الوقائع وعلاقاتها القائمة ومن ثم تفسيرها والتحقق منها، بالإضافة إلى إيجاد أدوات تعليمية جديدة ونظريات ومفاهيم قد تقدم إضافات جديدة في مسار العلم الاجتماعي لدراسة الظاهرة الاجتماعية (براهمة نصيرة و ابراهيم بولفلل، 2017، ص 143).

إن خصوصية الظاهرة الاجتماعية تفرض على الباحث في علم الاجتماع تكييف مناهج بحث علمية تراعي هذه الخصوصية سواء كانت مناهج تهدف إلى قياس الظواهر (مناهج كمية) أو مناهج تهدف إلى أخذ معطيات كيفية (مناهج كيفية) حيث « تعتمد المناهج الكمية على صيغ رياضية للواقع ونظراً لاستعمالاتها العادية والمتكررة من طرف علوم الطبيعية فقد اعتبرت منذ البداية أنها أكثر صرامة وعلمية من المناهج الكيفية » (مورييس أنجرس، 2006، ص101) أما « المناهج الكيفية فتهدف في الأساس إلى فهم الظاهرة موضوع الدراسة وعليه ينصب الاهتمام أكثر على حصر معنى الأقوال » (مورييس أنجرس، 2006، ص100)، أي أنها تركز أكثر على المعنى التي يعطيها الأفراد لتجاربهم وكذا دقة ومرونة وعلمية الملاحظة، إن القول بوجود مناهج كمية ومناهج كيفية في دراسة ظواهر المجتمع لا يعني التمييز والتفرقة بينهما وحصر استخدام نوع دون آخر في دراسة مشكلة بحثية معينة، أي أنهما متلازمان ومكملان لبعضهما البعض وبالتالي فدراسة الظواهر الاجتماعية بأسلوب كمي بالغ الدقة لا ينزع عنها بعدها الكيفي، أي أن المناهج العلمية المتعددة في دراسة الظاهرة الاجتماعية تتضمن بعداً، تحليلياً كمياً وآخر كيفياً ولعل أهم هذه المناهج استخداماً في علم الاجتماع، المنهج الوصفي، التاريخي، التجريبي، الإحصائي، تحليل المحتوى،

ولكل منهج خطوات وأدوات بحث خاصة بها تأخذ بعين الاعتبار طبيعة الموضوع المدروس والهدف المراد بلوغه والعينة أو المجتمع الذي يتجه الباحث إلى سحب المعطيات منه وأخيرا إمكانية انجاز البحث والعراقيل التي تحول دون ذلك .

خامسا: علاقة علم الاجتماع بالعلوم الأخرى

يعتبر امتلاك الظواهر لأرواح تسيطر على أفعالها التفسير الوحيد الذي اعتمده الإنسان قبل اكتشافه للمنطق العلمي الذي حاول من خلاله اكتشاف التفسير الذي يقف وراء كل معرفة علمية، ونظرا لضخامة المعارف العلمية وتشعبها فقد قسمت الميادين العلمية إلى عدة ميادين يمثل كل ميدان مجال بحثي ينقسم هو الآخر إلى عدة أجزاء وفروع، وعلى هذا الاعتبار ظهر ما يعرف بالتخصصات العلمية كضرورة منهجية بسبب عجز الباحث أو الإنسان الواحد الإلمام بكلية المعرفة العلمية، وبصفة عامة يمكن تصنيف المعرفة العلمية إلى ثلاث ميادين رئيسية، العلم الاجتماعي، العلم الطبيعي والإنسانيات، وكل ميدان فيها ينقسم هو الآخر إلى عديد الأجزاء والفروع والتخصصات العلمية، حيث يتناول العلم الطبيعي البيئة الطبيعية التي يعيش فيها الإنسان وكذا العلوم الكيميائية والفيزيائية والحيوية، أما الإنسانيات فهي مثل العلم الاجتماعي تدرس الإنسان وثقافته إلا أنها تختص بدراسة بعض وجوه الثقافة الإنسانية المتعلقة بمحاولات الإنسان التعبير عن قيمه الروحية والجمالية من خلال الأدب، الفن، الفلسفة، العلوم الدينية، أما العلم الاجتماعي فهو ذلك الميدان من المعرفة الإنسانية التي تتناول جميع جوانب الحياة الجمعية للإنسان، ونظرا لاستحالة الإلمام الدقيق والكلي بنسق المعرفة الإنسانية فإن على الباحث المتخصص من ناحية من نواحي العلم الاجتماعي أن يكون على إلمام بالقدر الممكن للمجتمع ككل.

إن الحدود الفاصلة بين علم الاجتماع والعلوم الاجتماعية الأخرى غير واضحة وغير دقيقة كليا لدرجة أن محاولة وضعها الحدود يخلق مشكلات منهجية ومعرفيا خاصة وأن تقاطعه مع عديد التخصصات أدى إلى خلق فضاءات معرفية جديدة:

1- العلوم الطبية:

إن الحديث عن علاقة علم الاجتماع بالعلوم الطبية يرجع بنا إلا المساءلات الأولى حول العلاقة بين العلوم الاجتماعية والعلوم الطبيعية بصفة عامة وعن المماثلات التي أجراها علماء الاجتماع بين الظاهرة الاجتماعية والظاهرة الطبيعية وبين الجسم العضوي والجسم الاجتماعي في محاولة لإلحاق العلوم الاجتماعية

بركب التطور والدقة والتحكم الذي تحقق في العلوم الطبيعية، إلا أن خصوصية الإنسان ككل مركب لا يمكن فصل ظواهر جسده عن ظواهر مجتمعه ونفسيته انسحب أيضا على خصوصية الظواهر التي ينتجها، أي أن دراسة التركيبة الجسمية للإنسان وميكانيزمات عمل كل عضو فيها لا يتم في معزل عن البيئة (بكل تفصيلاتها) التي يتواجد فيها وبالتالي فتشخيص اعتلال جسد الإنسان يكون من خلال مجموعة من الأبعاد من بينها البعد الاجتماعي، إن القول بالعلاقة بين العلوم الطبية وعلم الاجتماع يتموقع في الفضاء البيئي بين العلمين والذي أنتج للوجود المعرفي علم الاجتماع الطبي كتأكيد على تأثير العوامل الاجتماعية على الجوانب الصحية والمرضية للإنسان من جهة، وارتباط أسلوب الرعاية الصحية وسياساتها المتبعة ومشكلات قطاعاتها بالصحة الاجتماعية للمجتمع، أي أنها معيار يحتكم إليه لمعرفة مستوى المجتمعات، وبالتالي كلما كانت المجتمعات متطورة ومتقدمة كلما كانت الممارسة الطبية تحمل بعدا اجتماعيا وثقافيا إلى جانب البعد البيولوجي والعكس.

2- الهندسة المعمارية:

تعتبر المدينة أحد أهم مظاهر التطور المتسارع الحاصل في المجتمعات المختلفة، ورغم أن هذا التطور أدى إلى اختراق وتحطيم الكثير من الخصوصيات الثقافية للمجتمعات، إلا أن المدينة أو المناطق الحضرية ككيان اجتماعي و منشآت هيكلية تعتبر أحد أهم المؤشرات الدالة عن هوية مجتمعية معينة، أي التشابه بين المجتمعات في الأطر العامة المتعلقة بأسباب ظهور المناطق الحضرية وطبيعة هندستها المعمارية والأثر المتبادل بين تلك الهندسة والعلاقات الاجتماعية، وبالتالي ظهور ظواهر اجتماعية متعلقة بهذا الفضاء دون غيره على غرار (الهجرة إلى المناطق الحضرية، النمو الديموغرافي، الجريمة والانحراف ، نمو النزعة الفردية، الأوبئة والأمراض النفسية، أثر عدم التناسق العمراني، أثر غياب المساحات الخضراء ...).

الهندسة المعمارية كعلم يختص بتصميم المنشآت العمرانية ثم تشييدها (بنائها) وصيانتها بمراعاة معايير معينة (قد تكون مناسبة وشروط التشييد وقد تكون غير مناسبة) تتعلق بشروط السلامة، الإضاءة، التهوية، المساحة، المنظر الجمالي....، لا يمكن أن تؤدي أدوارها - علم الهندسة المعمارية - بمعزل عن فواعل اجتماعية أخرى تتحمل إخراج التصميم الذي يجب أن يراعى الاحتياجات الاجتماعية للمجتمع و المشكلات الاجتماعية الناجمة عن سياسات وقوانين التعمير، وهذا ما يضطلع بدراسته علم الاجتماع الحضري كتخصص معرفي أنتجه التقاطع والتداخل بين العلمين .

3-العلوم السياسية: عُرِفَت الممارسة السياسية كسلوك منذ البدايات الأولى للوجود الإنساني ذلك أن الاهتمام بقضايا الدولة والحكم والقيم المثالية والحرب والروابط والمنظمات صاحب كل المجتمعات البشرية باختلاف ثقافات وتاريخها ومرجعياتها، إن الحديث عن علاقة علم الاجتماع بعلم السياسة يتضح من خلال الحديث عن أهمية علم الاجتماع ووظائف المشتغل بعلم الاجتماع والتي تتقدمها تقديم معرفة علمية شاملة بقضايا المجتمع حتى تشكل القاعدة الأساسية لأي سياسة إصلاحية أو تنموية أو ...يقوم بها المشتغل بالسياسة، أي أن بحوث علم الاجتماع توضح الرؤية لاتخاذ القرارات السياسية التي تخدم توجه أصحاب القرار، وفي المقابل تعتبر مواضيع النظرية، الحكومة، السياسة العامة والإدارة، السياسة العالمية أكثر ما يشتغل به علم السياسة تأثراً بعلم الاجتماع وهو بهذا يقدم قاعدة بيانات جاهزة تبرهن وتفسر العديد من الفرضيات والظواهر الاجتماعية، ولعل علم الاجتماع السياسي كتخصص علمي قائم بحد ذاته أكثر ما يعبر عن التداخل الحاصل بين العلمين .

4-العلوم القانونية:

لا يمكن الحديث عن علاقة علم الاجتماع بعلم القانون دون الإشارة ولو باختصار إلى السياق التاريخي الذي تجادلت فيه العلاقة بين الكيان الاجتماعي والقانوني بدءاً بالدعوة إلى ضرورة تعاقد أفراد المجتمع ووضع تصورات لأسباب وشروط التعاقد (مدرسة العقد الاجتماعي) إلى الحديث عن مصادر هذا التعاقد (مدرسة فلسفة القانون) وبعبارة أخرى العلاقة بين علم الاجتماع والعلوم القانونية يختصرها مونتسكيو بدعوته إلى ضرورة أن تكون القوانين نازمة للعلاقات الاجتماعية في كل مستوياتها بين أفراد المجتمع وفق معادلة تأدية الواجب (الالتزام بالقانون) مقابل تحصيل الحقوق وعدم التعرض لإجراءات العقاب، إن افتراض موافقة ورضا أفراد المجتمع بصياغة القانون الناظم لعلاقاته القائمة فيه لا يكفي لوضع الإستراتيجية النهائية له والتي يجب أن تأخذ بعين الاعتبار موازين القوى المحلية واتجاه الإرادة السياسية مقابل درجة وعي أفراد المجتمع بحقوقهم وواجباتهم وكذا القوانين الدولية التي تمارس نوع من الضغط لفرض ممارسات قانونية دون أخرى، إن التركيز والتفصيل في هذه المسائل مهمة الباحث في علم الاجتماع القانوني كتخصص معرفي أنتجته التقاطع بين علم الاجتماع وعلم القانون .

5-العلوم الإدارية:

تظهر التخصصات العلمية حسب مقتضيات الحاجة الاجتماعية لها وذلك ببروز ظواهر جديدة تستحق الدراسة في فضاءات لم تكن موجودة من قبل، وهذا ما يتجسد واضحا في الاتجاه الاجتماعي نحو التصنيع والذي أدى إلى انتشار المصانع والمؤسسات والتنظيمات وتنوع مجالات الخدمات التي تؤديها.

إن التنوع في الخدمات التي تقدمها مختلف المؤسسات والتنظيمات وكذا تموقعها في فضاءات زمنية مختلفة وبالتالي اختلاف سياساتها اتجاه معالجة مختلف الظواهر لم يغير الهدف الذي سطرته هذه الكيانات منذ البدايات الأولى لمأسستها والمتمثل أساسا في تحقيق أكبر ربح ممكن في أقل وقت ممكن وبأكبر جودة وأقل تكلفة، أي كيف يمكن استغلال العامل/المستخدم/المورد البشري أحسن استغلال، ومحاولة تعريف الإدارة لا يخرج عن هذا الإطار المتعلق بصياغة مبادئ علمية تنظم الطريقة التي يجب أن تستغل بها المؤسسات والمنظمات مواردها من أجل تحقيق الأهداف، أما دراسة علم الاجتماع للظواهر الاجتماعية في المنظمات فهي تأخذ بعين الاعتبار عضوية الفواعل الاجتماعية (المنتجة لهذه الظواهر) كأعضاء داخل هذه التنظيمات والمؤسسات وبالتالي اختص علم اجتماع التنظيم كتخصص معرفي أنتجه تقاطع اهتمام (علم الإدارة وعلم الاجتماع بظواهر التنظيمات) بدراسة السياقات التاريخية والظروف الاجتماعية والسياسية لظهور مختلف المؤسسات والتنظيمات وكذا الأثر الذي أحدثه وجودها في المجتمع ثم مختلف السياسات والاستراتيجيات التي تنظم في إطارها العلاقات الاجتماعية (اتصال، قيادة، إشراف، إلزام تنظيمي، بيئة العمل...) وكذا المشكلات التي تعرقل أداءها وتحقيق أهدافها .

سادسا : مفاهيم أساسية في علم الاجتماع

يكتسي الوقوف عند المفاهيم الأساسية المكونة لموضوع الدراسة في علم الاجتماع أهمية بالغة خاصة وأن تعدد زوايا النظر حول المفهوم الذي يجب الارتكاز عليه كوحدة أساسية للدراسة يؤسس للثراء المنهجي و المعرفي الذي يتميز به علم الاجتماع في دراسة مختلف الظواهر الاجتماعية .

1-المجتمع: قد يكون المجتمع عبارة عن قبيلة أو دولة أو جماعة أو مجموعة من الأفراد يشتركون في ثقافة جامعة ويتواجدون في إقليم جغرافي واضح المعالم ،يتزايد أعضائه عن طريق التكاثر الجنسي بين أفرادها ،و يتمتعون بالاستقلالية عن مجموعات أخرى ،أي أنه يمكن الحديث عن أربعة معايير تعتبر شرطا لنعت مجموعة معينة بالمجتمع " قدرة الجماعة على الاستمرار إلى مدى زمني أطول من أعمار أعضائها ،قدرة المجتمع على تجديد ذاته عن طريق نظام مقدر للتنازل ،و توافر نظام تربوي قادر على تحقيق تنشئة اجتماعية لأعضائه الجدد على أساس ثقافة المجتمع و نظمه ،توافر مجموعة من المعايير المشتركة المنظمة

للأفعال الاجتماعية لأعضائه ومدى توافر الشعور بالولاء لدى هؤلاء الأعضاء للكل المشترك، مدى قدرة المجتمع على تحقيق الاكتفاء الذاتي (نظمه تستطيع اشباع حاجات أعضائه) " (خالد حامد، 2015، ص15) ،إن كون المجتمع ينتج من تفاعل أفراد في إطار الضوابط التي عرّفت وجوده يجعل منه نظاما اجتماعيا اعتبرته العديد من النظريات وحدة أساسية (رغم كبرها) للدراسة في علم الاجتماع وهنا ينبغي الإشارة إلى أن وضع معايير راسمة لحدود المجتمع يطرح تساؤلا حول اختراقها بفعل التثاقف الذي أحدثته تكنولوجيا الاتصال و التي تسببت في تشويش الوحدة الثقافية للمجتمع الواحد و بالتالي فتعريف المجتمع وفق هذا المعطى ينبغي أن يعيد مناقشة المعايير المعرفة له .

2- الجماعة الاجتماعية: يمكن للمجتمع أن يكون عبارة عن جماعة كبيرة تتكون هي الأخرى من مجموعة من الجماعات الأصغر منها تؤدي كل جماعة صغيرة الوظيفة الموكلة بشكل ينسجم مع وظائف الجماعات الأخرى في إطار الوظيفة الكلية للمجتمع ،قد تكون الجماعة عبارة عن أسرة، صف دراسة، جماعة الرفاق، جمعية، حزب سياسي،حي سكني...،يمكن تحديد مجموع من الخصائص للجماعة تتمثل في "التفاعل بين أعضاء الجماعة على مدى فترة زمنية معينة،وعي الأعضاء المتبادل بعضهم ببعض ،وجود أساليب اتصال جيدة بين الأعضاء ،توافر نمط معين من المعايير و التوقعات المتبادلة بين الأعضاء تحكم عملية التفاعل ،وجود هدف مشترك" (خالد حامد ،2015،ص17)

3-العلاقات الاجتماعية و العمليات الاجتماعية: تقوم العلاقات الاجتماعية عندما يتفاعل فردان أو أكثر أو جماعتان أو أكثر وهي تختلف عن التفاعلات المؤقتة، قد يكون هذا التفاعل الذي يقوم بين طرفي العلاقة الاجتماعية عبارة عن تعاون، صراع، منافسة، صداقةإلخ، كل الجماعات تحتوي على علاقات اجتماعية ولكن لا تؤسس كل العلاقات الاجتماعية جماعة لأن الجماعة تتضمن درجة من التعاون والاتفاق(محمد عاطف غيث ،1986،، ص300)،وبالتالي التفاعل الاجتماعي الذي تنتجه العلاقات الاجتماعية " منها ما هو مباشر كالعمليات الاجتماعية التي تقوم بين الرجل و المرأة في نطاق الأسرة وبين العامل و صاحب العمل في نطاق المصنع و منها ما هو غير مباشر مثل العلاقة التي تربط بين المنتج و المستهلك ،المواطن و الدولة " (خالد حامد ،2015، ص34) ،أي أن صور التفاعل المتكررة الخاصة والعامة تشكل العمليات الاجتماعية .

4 - الفرد و الشخصية: الفرد: هو الشخص، الإنسان، البشر،هو ما يشكل كينونة مستقلة عن ذات الآخر، يعتبر الفرد نواة المجتمع وفي علم الاجتماع الفرد هو الفاعل الاجتماعي ،أما الشخصية الإنسانية فهي عبارة

عن كل ما ينتجه التفاعل الاجتماعي، ومكونات الشخصية كلها تقوم على أسس ثقافية واجتماعية لذا لا يمكن لدراسة الشخصية أن تكون كاملة دون دراسة المجتمع والثقافة معا (الثلاثة مع يشكلون الأعمدة التي تقوم عليها الظاهرة الاجتماعية) فالمجتمع هو المكان الذي يتم فيه التفاعل والثقافة هي التي تصب هذا التفاعل في قوالب معينة(محمد عاطف غيث ،ص367).

5-الفعل الاجتماعي و التفاعل الاجتماعي : يحلل اتجاه الفعل في علم الاجتماع العلاقات الاجتماعية إلى أبسط صورها و المتمثلة في الفعل ، و بالتالي الفعل يمثل أبسط صورة للسلوك الإنساني قد يكون بالسلب كما قد يكون بالإيجاب أي بفعل الفعل أو بالامتناع عن الفعل أي أن الامتناع أيضا عبارة عن فعل ، و هنا يدخل عنصر القصد في الفعل و بالتالي الفعل هو صورة السلوك المقصود من طرف فاعله أما السلوك قد يكون مقصود كما قد يكون غير مقصود،وبالتالي الفعل الاجتماعي قد يستهدف به صاحبه الآخرين و على هذا الاعتبار يجب أن لا نكتفي بمعنى الفعل عند فاعله و انما أيضا بمعنى الفعل عند الآخرين (جماعة الفاعل) ،ذلك أنه حسب ماكس فيبر " الفعل الإنساني هو اجتماعي بقدر ما يدخل في الحساب سلوك الآخرين و بمقدار ما يتأثر بهم في مجراه "(خالد حامد ، 2015، ص44) .

6 : النظم الاجتماعية و الأنساق و السمات و الرموز : النظم الاجتماعية: تعبر عن إحدى أنماط التنظيم الاجتماعي أي الأنساق الكبرى المنظمة للتفاعل الذي يعتبر قاعدة العلاقات الاجتماعية لأوجه محدودة من النشاط الإنساني، وعند الحديث عن النظم الاجتماعية فنحن نفترض تصنيف للعلاقات الاجتماعية على مستوى معين من التجريد بقصد الدراسة وحسن الفهم لأن الفحص الدقيق للنظم يجعلها متداخلة تدخلا شديدا (محمد عاطف غيث ، 1986، ص 287)، أما النسق الاجتماعي فهو مجموعة متسلسلة من الأوضاع المحددة التي تربط جميع أعضاء المجتمع، النسق من التناسق وهو نوع من الاضطراب والوحدة الذي ينمو مع الزمن ويميل في نفس الوقت إلى الدوام، والتناسق والاضطراب والدوام هم الذين يخلقون الأنساق والنظم الاجتماعية ،السمات فهي تمثل الأبعاد التي تكون شخصية الإنسان (الهدوء أو العصبية ،التسرع أو الرزانة ،الوعي أو الجهل ،العزلة أو الاجتماعية ،الانسجام أو الاضطراب...)،و في الأخير الرموز تعبر عن المعاني المشتركة التي يعطيها مجموعة من الأفراد لذات الشيء أو المعنى .

7-التغير الاجتماعي و التطور و النمو

"التغير يمثل في حد ذاته ظاهرة طبيعية تخضع لها مظاهر الكون و الحياة الاجتماعية التي تشمل مظاهر التراث الاجتماعي ...و يعني كل تحول يحدث في النظم و الأنساق و الأجهزة الاجتماعية "(حامد

خالد، 2015، ص146) ،يحدث التغير الاجتماعي في كل الاتجاهات أي قد يتغير المجتمع من المركب إلى البسيط أو من البسيط إلى المركب (مع العلم أن المركب و البسيط يمل في كل مرة دلالات معينة تختلف بين الايجابية و السلبية) ،إلا أن التطور أو النمو يكون فقط من البسيط إلى المركب أي من حالة بدائية إلى حالة تطورت و انبنت عن الحالة البدائية .

8-المركز والدور: المركز عبارة عن الوضع أو المرتبة التي يتخذها الأشخاص في المجتمع اتجاه الآخرين، أما الدور فهو عبارة عن الواجبات والحقوق والامتيازات التي تعبر عن المكونات الأساسية للمركز والتي تطبع الأفراد الحاصلين عليها بطابع خاص أي سلوك الممثل الخاص في مضمون معين(محمد عاطف غيث، 1986، ص 239) و بالتالي "الدور هو الوجه الديناميكي للمركز "(حامد خالد، 2015، ص54).

خلاصة: إن اختلاف المدلولات التي تعطى للظواهر الاجتماعية لا يعني استحالة دراستها وإنما يعني تعدد المداخل المنهجية و المعرفية في فهم ودراسة المشكلات البحثية ،خاصة إذا تجاوزنا قضية الاستقرار و الثبات النسبي للظاهرة الاجتماعية و بالتالي لتفسيرها أي للنظريات و القوانين التي تصل البحوث إليها على اعتبار أن العلم تراكمي تطويري و تجديدي ،وإذا اتخذنا من العلوم الطبيعية نموذجاً يحتذى به في فهم و تفسير و التنبأ و التحكم في موضوعها فإنها هي الأخرى عرفت صعوبات في المؤسسة ،كما أن العديد من النظريات المتوصل إليها في مختلف العلوم الطبيعية أُعيد النظر فيها رغم كون موضوعها مستقر و مستقل عن الباحث ،و بالتالي تنوع وجهات النظر لعلم الاجتماع تعريفاً و موضوعاً و هدفاً و منهجاً يعتبر ثراء يتلاءم مع خصوصية الظاهرة الاجتماعية و ليس انتقاصاً أو انتقاء لعلميته .

مراجع المحور

- 1-عبد الرحمان ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ،تحقيق أبي عبد الرحمان عادل بن سعد ،الدار الذهبية للطبع و النشر و التوزيع ، القاهرة ،2066،ص44
- 2-محمد عاطف غيث :علم الاجتماع ،دار المعرفة الجامعية ،الاسكندرية ،1986،ص 112
- 3-ريتشارد أوزيرن و بورن فان لون :أقدم لك علم الاجتماع ،ترجمة حدي الجابري ، الطبعة الأولى ،المجلس الأعلى للثقافة ،القاهرة ،2005 ،ص 31
- 4-محمد عاطف غيث ،مرجع سابق ،ص 15
- 5-RYMOND Aron , les étapes de la pensée sociologique,édition Gallimarde,1967,p121
- 6-Ibid ,p189
- 7-Ibid,363
- 8-السيد عبد العاطي السيد :النظرية في علم الاجتماع ،دار المعرفة الجامعية للنشر و التوزيع ،الاسكندرية ،2005،ص 178
- 9-محمد عاطف غيث ، مرجع سابق ،ص 113
- 10-المرجع نفسه ،ص 114
- 11-المرجع نفسه ،ص 94
- 12-المرجع نفسه ،ص 117
- 13-ريتشارد أوزيرن و بورن فان لون ، مرجع سابق ،ص 18
- 14-غني ناصر حسين القرشي :المدخل النظرية لعلم الاجتماع ،الطبعة الاولى ،دار صفاء للنشر و التوزيع ،عمان ،2011،ص31

- 15-نصيرة براهيمه وابراهيم بولفلل :المنهج العلمي في العلاقة البيئية بين علم النفس الاجتماعي و الإحصاء،العدد التاسع ،مجلة الحكمة ،مؤسسة كنوز الحكمة للنشر و التوزيع ،2017،ص143
- 16-موريس أنجرس : منهجية البحث العلكي في العلوم الانسانية ،ترجمة بوزيدي صحراوي و آخرون ،الطبعة الثانية ،دار القصبة للنشر و التوزيع ، 2006 ،ص101
- 17-خالد حامد :مدخل إلى علم الاجتماع ،الطبعة الثالثة ،جسور للنشر و التوزيع ،الجزائر ،2015 ،ص15
- 18-المرجع نفسه ،ص17
- 19-محمد عاطف غيث ،مرجع سابق ،ص 300
- 20-حامد خالد ،مرجع سابق ،ص34
- 21-محمد عاطف غيث ،مرجع سابق ،ص367
- 22-حامد خالد ،مرجع سابق ،ص44
- 23-محمد عاطف غيث ، مرجع سابق ،ص287
- 24-حامد خالد ،مرجع سابق ،ص146
- 25-محمد عاطف غيث ، مرجع سابق ،ص239
- 26-حامد خالد ،مرجع سابق ،ص54.

المحور الثالث : رواد علم الاجتماع

تمهيد

أولا : عبد الرحمن ابن خلدون

ثانيا : اوغست كونت

ثالثا : كارل ماركس

رابعا : ماكس فيبر

خامسا : دوركايم

خلاصة

مراجع المحور

تمهيد: رغم وجود محاولات كثيرة ساهمت في مأسسة علم الاجتماع إلا أننا سنقتصر الحديث عن إسهام كل من عبد الرحمان ابن خلدون واوغست كونت وكارل ماركس وماكس فيبر واميل دوركايم كرواد أوائل لعلم الاجتماع في إطار توضيح قدرتهم على مناقشة الركائز الأساسية التي تأسست عليها الصياغة النهائية لعلم الاجتماع ،على اعتبار أن الحديث عن كل واحد منهم يعني بالضرورة الحديث المباشر و الغير مباشر عن أفكار المفكرين(معاصرين أو سابقين) الذين تأثر بهم ووافق أو عارض أطروحاتهم ،خاصة و أن تواجدهم (الرواد) كان في زمان و مكان مختلف و بالتالي وجود معطيات اجتماعية و اقتصادية و ثقافية وحتى نفسية متباينة من رائد إلى آخر ألقت بظلالها على إنتاجهم الفكري .

أولا :عبد الرحمن ابن خلدون (1332- 1406)

ولد عبد الرحمان ابن خلدون في تونس سنة 1332 م في أسرة نابهة لها ميول سياسية ومركز علمي واجتماعي مرموق والده كان رجل علم و أدب و فقه أما جده فكان مسؤولا في دولة الموحدين بالمغرب العربي، تعلم القرآن بقرآته السبعة و درس التفسير والحديث والفقه والنحو واللغة على يد أشهر أساتذة تونس بدءا بوالده كان نشاطه متعدد الجوانب: الإدارة، السياسة، الخطابة، القضاء، طلب العلم، التأليف، توفي والدته بداء الطاعون و هو في سن السابعة عشر فقرر الارتحال إلى فاس و هناك بدأت تظهر اهتماماته السياسية و التي ترجمت في توليه لمناصب السياسية في بلاط السلطان ، اهتمام ابن خلدون بالسياسة لم يظهر فقط في توليه للمناصب و تنعمه في القصور،ذلك أنه ذاق مرارة السجون،و أول دخول له للسجن كان لمدة سنتين كانت نهايتهما الافراج و الحصول على منصب كاتب سر السلطان، واستمرت حياة ابن خلدون على هذه الشاكلة أي بين تولي أعلى المناصب و التعرض للدسائس و الوشايات و المطاردات ،الى أن قرر ترك السياسة و أحوال حكامها المتقلب و المتصارع ،أصيب بنكبة وفاة أسرته غرقا بالإسكندرية كما شهد على هجوم تيمور لنك الماغولي على مصر و الشام كتب مؤلفه الشهير " المقدمة" بعد أن اعتزل الحياة العامة واختلى بنفسه بعيدا عن شواغل المدن في مقاطعة وهران بالجزائر من مؤلفاته أيضا لباب المحصل في أصول الدين ، التعريف ،شفاء السائل .(عبد الرحمان ابن خلدون ،2006، ص 8)

إن المدقق في مقدمة ابن خلدون المتضمنة لأفكاره الاجتماعية و التي تواجدت زمنيا في القرن 14 لا يجد صعوبة في تلمس جوانب الدقة المنهجية و المعرفية في تحديده لعلم يهتم بدراسة ظواهر المجتمع و التي اطلق عليها اسم العمران البشري و ذلك بع أن تحدث عن فضل علم التاريخ و تحقيق مذهبه و الإلمام بمغالطة المؤرخين أي أنه انفتح على علم يهتم بظواهر المجتمع (العمران البشري) من خلال انشغاله بعلم

التاريخ (نفس سياق كل من كارل ماركس و ماكس فيبر بعلم الاجتماع) ، كما يعتبر عبد الرحمان ابن خلدون أول من تنبه إلى ضرورة قيام علم جديد هو علم العمران البشري و حدد موضوع لهذا العلم و هو العمران البشري و الاجتماع الانساني و هو ما يعرض للبشر في اجتماعهم من " الملك والكسب والعلوم و الصنائع " (عبد الرحمان ابن خلدون ، 2006 ، ص 46) ، وقد أكد ابن خلدون أنه لم يرده من الأخبار ما يدل على اشتغال غيره بمأسسة هذا العلم و يقول " و كأنه علم مستنبط النشأة و لعمرى لم أقف على الكلام في مناه من الخليفة ما أدري ألغفلتهم عن ذلك ؟ و ليس الظن بهم او لعلمهم كتبوا في هذا الغرض و استوفوه و لم يصل إلينا فالعلوم كثيرة و الحكماء في أمم النوع الانساني متعددون و ما لم يصل إلينا من العلوم أكثر مما وصل " (عبد الرحمان ابن خلدون ، 2006 ، ص 44) ان تحليل قول ابن خلدون يوضح بداية اعجابه بالاككتشاف الذي حققه (علم جديد يهتم بظواهر المجتمع-العمران البشري) ثم استغرابه عن عدم انتباه الحكماء -الباحثين- من قبل الى ضرورة مأسسته ثم يستدرك بتواضع موضحا إمكانية أن يسبقه غيره للبحث في هذا المجال و استحالة وصول ذلك اليه ، أي ان ابن خلدون يعترف لغيره الغير موجود مقابل عدم اعتراف غيره له رغم انه موجود خاصة و انه أشار إلى أن العلوم الوحيدة التي وصلت إليهم هي علوم اليونان (أي انه لم يجد في علوم اليونان دلائل تؤكد وجود من سبق في البحث حول موضوع العمران البشري).

يرى الكثير من العلماء أن ما يميز ابن خلدون عن غيره من المؤرخين هو حرصه على البحث عن العلل والأسباب لما قد وقع من وقائع أدت إلى نشأة الدولة وبداية العمران وظواهره ولعل أبرز نظرياته الاجتماعية

هي نظريته عن العصبية وأثرها على تشكيل الدول وانحلالها ، حيث" تلعب العصبية دورا هاما كمصدر للقوة فإن زالت بين الحاكم و عصبته ضعف موقف الحاكم و تعرض الحكم للزوال و قد شمل الصراع لدى ابن خلدون الصراع السياسي و الاقتصادي و حتى الصراع على الجاه و الاعتبار و إذا كان الصراع في البداوة جماعيا بين العشائر و القبائل فإن النموذج الحضري يضيف له صراع على المستوى الفردي" (ابراهيم عيسى عثمان ، 2008، ص82) ، أي أن نظرية ابن خلدون القائمة على الصراع الاجتماعي تعتبر الوجود الإنساني (المجتمع البشري) يمر في دائرة (دورة المجتمع) تبدأ بالميلاد وتسير نحو النضج والاكتمال ثم الشيخوخة لتعود مرة أخرى للرقى والتقدم مثل الفرد، يكون للعصبية في طور الشباب والنمو دور حاسم حيث تتميز بدينامية وحماسة كبيرتين ،أما طور النضج والتنظيم فتتقوى فيه السيادة، وتتمركز السلطة لكن سرعان ما تتخلى السلطة الحاكمة عن المسار الذي تميز به العمران البشري وتستبد بالملك وتتفرد بالامتيازات وعندها يبدأ التنافر بين أفراد العصبية الذي سرعان ما يتحول إلى صراعات داخلية منهكة، يصل بالدورة الاجتماعية إلى طور الشيخوخة الذي تشتد فيه الفتن والتشاحنات وتركن السلطة إلى الرفاه والإسراف والتبذير فتتحل أواصر العصبية وهذا يؤدي بكل أجهزة الدولة إلى التدهور ثم الموت لتقوم على أنقاضها عصبية جديدة، وهكذا تستمر دورة المجتمع التي تدوم في نظر ابن خلدون 120 سنة

ثانيا :أوغست كونت (1798 – 1857)

ولد أوغست كونت سنة 1798 في مدينة مونتبلية الفرنسية Montpellie في عائلة ملكية كاثوليكية، كان والده موظف حكومي في رتبة متوسطة، زاول دراسته الثانوية من 1807 – 1814 في ثانوية مونتبلية، ألتحق بعدها للدراسة في المدرسة المتعددة التقنيات إلى غاية 1816، إلا أن إغلاق المدرسة المؤقت دفعه للعودة إلى مونتبلية لبضعة شهور أين تابع بعض الدروس في الطب والفيزيولوجيا في كلية المدينة، ثم عاد بعدها إلى باريس واشتغل في تقديم دروس في الرياضيات.

ابتداء من 1817 إلى غاية 1824 أشغل أوغست كونت سكرتيرا لسان سيمون وساعده خلال هذه الفترة في إصدار عدة مؤلفات حول فلسفة النزعة الصناعية، إلا أن اسم أوغست كونت لم يرد في عدت مؤلفات أصدرت باسم سان سيمون فقط، تزوج سنة 1825 وكان زواجه الخطأ الوحيد والأكبر الذي وقع فيه في حياته على حد تعبيره، شرع سنة 1826 في تقديم دروس عامة في الفلسفة الوضعية، إلا أن إصابته بأزمة عقلية أبقتة تحت الرعاية الصحية لمدة 8 أشهر بسبب الإرهاق الفكري والمشاكل التي كان يعاني منها مع زوجته إلى درجة أنه حاول الانتحار، وبعد أن هدأت الأزمة العقلية اضطر كونت لتتبع حمية جسدية وأخرى

فكرية إلى غاية 1829 أين عاد لتقديم دروس في الفلسفة الوضعية وأصدر سنة 1830 الطبعة الأولى من مؤلفه " محاضرات في الفلسفة الوضعية " طالب كونت بعدة مناصب علمية ولكنها كانت ترفض بسبب آرائه، إلا أنه منح منصب معيد سنة 1832 ثم منصب فاحص البعثات سنة 1836 وذلك في المدرسة متعددة التقنيات، غلا أنه فقد منصب الفاحص سنة 1844، وبعد أن تم الطلاق نهائيا مع زوجته عاش أوغست كونت الفقر ولم يكن يتحصل على عيشه إلا من خلال الإعانات المجانية التي كان يقدمها له " جون ستيوارت ميل " وبعض الأغنياء الانجليز، وبعد أن مر بتجربة عاطفية أخرى لم تكلل بالنجاح، أعلن كونت سنة 1847 عن دين الإنسانية و مؤسسة المجتمع الوضعي، أفقد منصبه كمعيد في المدرسة متعددة التقنيات سنة 1851، وهي نفس السنة التي صدر فيها العدد الأول من مؤلفه " نظام في السياسة الوضعية " وهو على أتم الاقتناع أن الوضعية بعد 1860 هي الدين الحقيقي والوحيد والكامل، توفي كونت يوم 5 سبتمبر 1857 في باريس وسط أتباعه ورغم أنه عاش 59 سنة فقط إلا أنه ترك بصمته في مجالات كثيرة، فلسفة العلوم الفيزيائية والكيميائية والرياضية، السياسة، علم الاجتماع، الدين،...

(Raymond Aron,1967.,p125,p 126,p 127)وفيما يلي استعراض لأهم مقولاته:

-جاءت أفكار كونت متأثرة بالأوضاع التي عرفتھا فرنسا في المجال الزمني الذي تواجد فيه بها، حيث كان إصلاح المجتمع شغله الشاغل بسبب الآثار الهدامة التي تركتها الثورة الفرنسية على مستوى كل أبنية المجتمع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والفكرية، لذا جاءت الفلسفة الوضعية لكونت تدعو للرضا بالأوضاع القائمة ومحاولة تنظيمها وإصلاحها وفق أسس عقلانية أي علمية (مؤسسة علم يعنى بدراسة الأوضاع وإصلاحها) أي انه منذ البداية دعا إلى التحول من النقد ونفي الواقع إلى تنظيمه من خلال « تكوين نظريات اجتماعية عن المجتمع من خلال الملاحظة و التجارب ومن ثم شرح وتفسير القوانين التي تحكم التغير الاجتماعي » (ريتشارد أوزبرولون فان لون، 2005، ص35).

- يؤمن كونت بشدة أن المنهج العلمي لفهم المجتمع سوف يؤدي إلى التقدم المنظم وهو يصر أيضا أننا يجب أن ننظر إلى المجتمع كنظام مكون أجزاء متداخلة وتقوم هذه الرؤية على الفكرة القائلة بأن المجتمعات تتطور بطريقة ارتقائية بدءا من المرحلة اللاهوتية مروراً بالمرحلة الميثافيزيقية حتى المرحلة الوضعية أو العلمية « (ريتشارد أوزبرولون فان لون، 2005، ص36)، أي أن إدراك الإنسان لمختلف الظواهر المحيطة به حسب قانون المراحل الثلاث لكونت يبدأ حتما بمعرفة دينية لاهوتية خيالية تفسر الظواهر بالقوى الخارجة عنها ثم تنتقل في مرحلة لاحقة إلى معرفة ميثافيزيقية مجردة أي تفسير الظواهر بما وراء الطبيعة

بتقديم أفكار وعلل لا يمكن إثباتها، وفي مرحلة أخيرة وهي المرحلة العلمية أو الوضعية يصبح فهم الإنسان للظواهر فهما علميا يستند إلى قوانين من دلائل مادية، الحتمية التي يتحدث عنها في البداية تعني أن العلوم التي وصلت إلى المرحلة أو الحالة الوضعية هي العلوم المتشكلة من التجريدات الميتافيزيقية بعد أن هيمنت عليها المفاهيم اللاهوتية.

-استخدم أوغست كونت لفظ " علم الاجتماع " في المجلد الرابع من كتابه " جوهر الفلسفة الوضعية " معتبرا أنه أكثر العلوم تعقيدا وذلك بعد أن وضع نظاما متسلسلا متطورا للعلوم يكون فيه كل علم ضروري من حيث التسلسل بالنسبة للعلم الذي يأتي بعده، تشكل الرياضيات قاعدة هذا التطور المتسلسل للعلم تأتي بعدها الفلك ثم الطبيعة أو الفيزياء ثم الكيمياء، فعلم الأحياء أو البيولوجيا وأخيرا علم الاجتماع على قمة الهرم (محمد عاطف غيث، 1986، ص 14).

-انطلاقا من قناعاته بأن فهم الكل يمكن التواصل إليه بطريقة أفضل من الأجزاء يجري كونت مماثلة بين علم الأحياء (البيولوجيا) وعلم الاجتماع من خلال تعريفه للمجتمع بأنه « كائن عضوي جمعي يتميز بالانسجام والتناغم بين أجزائه المفردة ببعضها البعض من ناحية، وبينها وبين الكل المكونة له من ناحية أخرى » (السيد عبد العاطي السيد، 2005، ص 59)، أي أن المجتمع بالنسبة لكونت نسق اجتماعي والعلم الذي يدرس ظواهر المجتمع يدرسها من خلال التفاعلات الحاصلة بين مختلف مكونات هذا النسق موضحا الارتباطات الموجودة بينها (الظواهر) وذلك وفق أسلوب وضعي (علمي) يحدث القطيعة النهائية مع كل ما هو تخيلي أو غيبي معتمدا على التجربة والملاحظة وذلك بغرض اكتشاف القوانين الناعمة للمجتمع وظواهره المختلفة.

- يعتبر كونت أن علم الاجتماع هو علم الفهم، والمعرفة الإنسانية لن نصل إليها من خلال وصف الأحوال النفسية وإتباع مناهج التحليل التأملية (Raymond Aron, 1967, p121) أي أن العالم الذاتي لا يخضع للعلم ولا يمكن أن تفسر الظواهر الاجتماعية من خلاله

- يدرس العلم الجديد الذي اقترحه أوغست كونت قانون التطور الاجتماعي بالاعتماد على منهج الملاحظة والمقارنة، وهي مناهج مماثلة للمناهج المستخدمة في علوم أخرى على غرار علم الأحياء، إلا أن استخدامها في دراسة الظواهر الاجتماعية يكون في إطار موجه بالأفكار الدينية الوضعية (Raymond Aron, 1967, p104)، وفي محاولة لتحديد موضوع هذا العلم الجديد يقدم أوغست كونت مفهومي الأستاتيكا والديناميكا باعتبارهما « القسمين الأساسيين لعلم الاجتماع الكونتي

«(Raymond Aron,1967, p104)، حيث يهتم القسم السكوني " La Statique " بدراسة الحالة الاستقرارية أو المستقرة في المجتمع وظواهره كما هي فعلا، أما القسم الديناميكي La Dynamique يعنى بدراسة حركية المجتمع وديناميته المستمرة الحاصلة بفعل التغير و التطور، إن تقسيم علم الاجتماع إلى ستاتيكي (يدرس بالمنهج المقارن) وديناميكي (يدرس بالمنهج التاريخي) يمكن من فهم الطريقة التي ينظم بها المجتمع ويتقدم عبر التاريخ.

- « رفض كونت على وجه الخصوص وجهة نظر فلاسفة التنوير التي رأت في مجتمع ما قبل الصناعة، وبخاصة العصور الوسطى كما لو كان يمثل فترات الظلمة الحالكة في تاريخ الحضارة » (السيد العاطي السيد، 2005، ص 56)، واعتبر مع سان سيمون أن عصر التنوير وعلماء يهدمون الصرح الجديد لمجتمع أكثر من تدعيمه، والفلسفة الوضعية بقولها هذا لا تعني إنكار كل ما جاء به علماء التنوير أو الثورة الفرنسية وإنما تعتبر نفسها النتيجة الفكرية والعقلية للثورة النقدية ذلك لأنها تريد بناء المجتمع وضمان استقراره من خلال القيام بوحدة بين فكرتي النظام والتقدم .
- إن اعتراف أوغست كونت بالوضعية المزرية، للطبقة العاملة والحرمان الذي تعيشه في الفترة التي كان فيها المجتمع الفرنسي يتحول من مجتمع ارسقراطي إلى مجتمع صناعي لا تعني تأييد للثورة ضد هذه الطبقة الحاكمة وإنما ببحث « سبل تحسب الطبقة العاملة دونما إخلال بالاقتصاد العام أو تفويض لما وضعه من مبادئ التصنيف والتدرج الطبقي...وكان الحل الذي اقترحه سان سيمون هو أخلاقيات الحب العالمي كشكل من أشكال المسيحية والتي أصبحت في أعمال دينا إنسانيا وسطا فرض نفسه كوسيط علاجي بين الطبقة العاملة والطبقة الحاكمة » (السيد العاطي السيد، 2005، ص 63).

ثالثا : كارل ماكس (1817 - 1883)

عاش كارل هنريش (هيرشل) مردخاي ماركس ليفي 65 سنة خلفا وراءه مكتبة علمية ضمت مجالات معرفية متعددة اقتصاد، سياسة، شعر، تاريخ، مجتمع، فلسفة، ما جعل ماكسيمليان روبرت MAXIMILEN Rubert يؤلف كتابين موضوعهما إصدارات ومؤلفات كارل ماركس سنوات 1960/1956، سيرة حياة كارل ماكس وإصداراته كانت مصدر إلهام للعديد من الباحثين في مختلف الحقول التي اشتغل فيها، فقد أحصى على سبيل المثال ريمون أرون Raymond Aron سنة 1967 ما يقارب 53 كتاب موضوعه " كارل ماكس ما جعل استعراض سيرة حياة كارل ماركس يقف أمام إشكال القراءات والتفسيرات المتعددة للمواقف التي

اتخذها في حياته الشخصية والمنعكسة على أعماله العلمية، لذا ينبغي الإشارة أن اختصار الحديث عن سيرة حياة كارل ماركس في هذه الورقة البحثية سيكون حسب قراءة جاك أتالي لسيرته في مؤلفه كارل ماركس أو فكر العالم سيرة حياة .

ولد كارل ماركس سنة 1817 وهي السنة التي غير فيها والده اسمه من هيرشل ماركس إلى هنريش ماركس بعد أن تولى عن يهوديته معتقاً اللوثرية - طائفة مسيحية - لينتسب لأخيه أن موقفه سياسي وذلك بعد اشتراط قانون غليوم الثالث ملك بروسيا على اليهود الراغبين في ممارسة مهنة حرة (غير المراقبة) اعتناق المسيحية، إن الجرأة الفكرية والصراع الذي تميزت به كل أبحاث كارل ماركس ماهي في الحقيقة إلا إسقاط لصراع تميزت به حياته الشخصية حتى قبل مولده ممثلة في والده مصدر إلهامه الأول، لم يكن هيرشل يرى في الكهنوت مستقبلاً له لذا درس القانون وتشبع بأفكار الثورة الفرنسية وقرر أن يصبح محامياً يدافع عن حقوق اليهود في منطقة تريفز التي كانت منطقة صراع بين فرنسا وبروسيا وكل واحدة منها لديها قوانين تعامل بها يهود المنطقة .

كلما صعدنا في نسب كارل ماركس من أمه وأبيه نجد حاخامات ولعل هذا ما بصم كارل ماركس باليهودي رغم أنه ولد في السنة التي غير فيها والده ديانته وعمد سنة 1824، إلا أن تحفظ والدته اليهودية الهولندية وتمسكها بيهوديتها وصراعها مع زوجها حول الموضوع انعكس على الأبناء، فبين أب يؤمن بإله العلم وأم تصر على أن تعد ابنها ليصير حاخاماً كبر كارل ماركس الذي كان ميله لدين والده أكبر وأوضح منذ البداية، خاصة وأنه والده- أسس مجلساً يسمى بمجلس الأنوار مكون من علماء وفنانين وحرفيين ورؤساء منشآت اقتصادية وأدباء يناقشون فيه كل جديد فكري أو صناعي ثم يذهب إلى البيت ليواصل نقشات راشدة وقوية مع الطفل كارل ماركس ذي السبع سنوات والذي كان معجباً بشدة وهو في هذه السن بأفكار سان سيمون خاصة حول الطبقات الاجتماعية، في سن 12 سنة وهو العمر الذي يحتفل فيه اليهود ببلوغ أبنائهم يرفض كارل ماركس عبرية أمه نهائياً بعد أن قرأها وفي المقابل يزداد تقبلاً لدين والده خاصة بعد تقربه من عائلة البارون لودفيغ فون ويستفان الارستقراطية الذي اتخذ كارل ماركس صديقاً له وهو ابن 15 سنة وعرفه على شكسبير وكان أكثر حديثهما عن هوميروس والكونت سان سيمون، كان لكارل ماركس قدرة عجيبة على حفظ الشعر بلغات مختلفة منذ سن الثمانية وهي السن التي سيطر فيها على عقل جيني ابنة العائلة الارستقراطية وصديقة أخته الكبرى ورغم أنها تكبره بـ 4 سنوات إلا أنه استطاع أن يتخذ قرار الارتباط بها منذ هذه السن

الصغيرة (خطبها في سن 18 سنة وتزوج بها في سن 24 لم ينفصل عنها إلى حين موتها وأنجب منها كل أبنائه) .

في أكتوبر 1835 ينهي ماركس دراسته الثانوية بأكثر من مشرف وهو متمكن من اللاتينية والإغريقية والفرنسية والعبرية، يكتب كارل ماركس في هذه السن 17 سنة ثلاث موضوعات إنشائية إحداها « تأملات شاب حول اختيار طريقه » ويطرح فكرة وجود صراع بين محددات مثالية ومحددات مادية في الطبيعة البشرية، هذا الطريق الذي رأى فيه هيرشل (والده) في دراسة القانون، ذهب ماركس لدراسة القانون إرضاء لوالده لأن القانون بالنسبة له يطبق تأملاته الفكرية فتميز هناك بشعره وتطرفه وكثرة إنفاقه للأموال الأمر الذي أغضب والده المريض الذي طلب منه ترشيد نفقاته خاصة مع الموارد لديه وهنا تبدأ العلاقة المعقدة لكارل ماركس مع المال وتفتح في ذهنه مساءلات حول العمل الإلزامي من أجل الكسب، العمل المأجور، العمل المستغل...، وبقي كارل ماركس يدرس القانون والأدب اللاتيني إلى أن اكتشف الفلسفة التي ستصبح ميدانا له متأثرا بمؤلف فينومينولوجيا الفكر ل هيجل الصادر عام مولده فيكتشف كارل ماركس إذا التاريخ والفلسفة وينجم عن لقاءه الفكري ب هيجل اقتناعه بإعطاء الأولوية للفكر على كل النشاطات الإنسانية الأخرى حتى وإن كانت أخلاقية « حتى الفكر الإجرامي لقاطعي الطرق أعظم وأنبل من كل روائع السماء، فاعلم يسبق الأخلاق والتحليل الاجتماعي ينبغي أن يكون موضوعي وعقلاني قبل أخلاقي» (جاك أتالي، 2008، ص 33)، هذا المعنى بالذات سيتعامل به ماركس في حياته الشخصية وأعماله الفكرية، ورغم أن والده غير له الجامعة إلا أن هذا لم ينهي تعصب كارل ولا رغبته في أن يصير كاتباً وفيلسوفاً وشاعراً لا يكتمل عنده شيء، فكما كان كثير الكتابة كان كثير التشطيب كلما ينتهي من عمل يرى أنه ليس في المستوى ما جعله يستنتج أن العمل يؤدي إلى الاغتراب، ورغم ولعه ب هيجل إلا أنه لم يجد فيه غايته خاصة مع اكتشافه لنصوص فيورباخ أستاذ الفلسفة المطرود من الجامعة بسبب إلحاده ومعارضته ل هيجل، حاول كارل ماركس أن يجد طريقاً بين هيجل وفيورباخ الذي يطرح في مؤلفه جوهر المسيحية الوجود كتجريد وبصر على أن التناقض ضروري لولادة الجديد مدعياً أن التاريخ سينتهي إلى عالم دون تناقض هذا الطرح الذي ألهم كارل ماركس وجعله يحتك أكثر ب فيورباخ في نادي الفلاسفة ويقتنع بضرورة تغيير تخصصه الأكاديمي إلى الفلسفة ويبدأ بالاشتغال بالسياسة لأن معارضة فكر هيجل في ذلك الوقت أشبه بمعارضة النظام البروسي، ورغم تحمله على الموافقة المتحفظة من والده الذي أصبح قلقاً من علاقة ابنه (كارل ماركس مع المال) إلا أنه انتظر موت أبيه ليغير تخصصه كما انتظر هو (هنريش) موت أمه (1816) ليغير ديانته، أنهى كارل ماركس أطروحة الدكتوراه بعد أربعة أعوام وهي « نص صعب حول علاقة الفلسفة بالعالم، وحول

الصلة بين الفكر النافذ للوجود والمادة النافذة للفكرة، إذ يظهر التضاد بين ديمقريطس وأبيقور فيها كمنظومة تضادات على جبهات مقلوبة « ص 54، وبعد حصوله على شهادة نهاية الدراسة من جامعة برلين يرسل ماركس أطروحته للدكتوراه إلى جامعة بينا المعروفة بسهولة إعطائها شهادات الدكتوراه بمشورة من أستاذه "برونوبوير" سنة 1841 ثم سيستقر مع أستاذه في بون ويشتغل في العمل الصحفي بدءا كرئيس تحرير لاغازيت رينان منتقدا كل ما يضيق على حرية الفكر وحرية ممارسة الصحافة ومستهزئا بكل ما هو ديني، ورغم أن السلطة آنذاك منعت كل من يشكك بأسس الدولة أو الدين من مواصلة العمل المهني الجامعي إلا أنه لم يكتثر.

تزوج وانفك من تأثير أساتذته خاصة بعد أن قرر هذا الأخير التشاؤم بسبب تضيقات السلطة، إلا أنه يستقر في كولونيا ويبدأ ممارسة الصحافة بجدية متأثرا بالاقتصاد الذي أصبح يرى فيه «أساس العلوم الاجتماعية الأخرى، وأن لاشيء يمكن له الإفلات من قوانينه أو من قوانين المادية فيتخلى عن الشيوعية الطوبائية ليلتدع الاشتراكية العلمية ويكتب في تشرين الثاني/نوفمبر 1842 ب لاغازيت رينان إن العقل الذي يبني المنظومات الفلسفية في دماغ الفلاسفة هو نفسه الذي يبني السكك الحديدية بأيدي العمال » (جاك أتالي، 2008، ص 63)، قاتل ماركس من خلال الصحيفة على كل الجبهات (حتى على اليهود في مواصلة لكفاح والده عادى معلمه من أجل هذا الموضوع) مناقشا حق الملكية ومطالباً بالتححر السياسي الذي لن يمكن مادام لم يتم التخلص من أي دين معتبرا أن لا تفضيل بذكر للمسيحية على اليهودية ولأنه اتهم الحكومة الروسية التي اعترضت أمام البروسية تقرر غلق الصحيفة إلا أن المساهمون عرضو على ماركس تعويض ب 1000 ثالر مقابل استقالته، قبل ماركس على اعتبار أن الصحيفة أقل من مستوى طموحاته ولأن العمل الصحفي والاشتغال بالفلسفة أصبح في ألمانيا بإذن السلطة فقط تقرر خروج ماركس من ألمانيا خاصة وأنه أصبح مصدر إزعاج بعد الأعمال الثورية السياسية التي شارك فيها ومساهمته في تكوين الرابطة الدولية للعمال ومؤتمر عصبة الشيوعيين، تزوج ماركس 1843 وينتقل مع جيني إلى باريس حيث لجأ القسم الأكبر من الألمان ويؤسس صحيفة الحوليات الفرنسية-الألمانية ويؤلف «إسهام في نقد فلسفة هيغل في الحقوق وكذا المسألة اليهودية » مؤكدا على قوة البروليتاريا التاريخية وقدرتها على قلب العلاقات الاجتماعية ومقترحا على غرار فيورباخ قلب الجدل الهيجلي لوضعه على قدميه، ولأنه أراد التعمق أكثر في الظروف العمالية بدأ يقرأ ل دافيد ريكاردو و آدم سميث و سيسموني وجون ستوارت ميل ويواصل العمل في المجلة إلى حين ممارسة الحكومة البروسية الضغط على باريس التي تضيق على ماركس الذي أصبح يكتب في صحيفة ألمان باريس بعد توقف الجريدة التي كان يتأسس تحريرها.

وهناك يلتقي بـ فريديريك إنجلز (الذي فاتته اللقاء به سنتين قبل في كولونيا) ولن يفترق عنه الى حين موته تكامل كارل وفريديريك على الصعيد الفكري والشخصي، أعداء مشتركون (الفلاسفة الألمان)، ذهب فريديريك الى المانيا وواصل نضالاته السياسية إلى أن تقرر فرنسا طرده فيلتجأ إلى بلجيكا التي كانت منطقة نزاع بين فرنسا و هولندا سنة 1845 والتي كان لا يملك ماركس للذهاب اليها حتى نفقات السفر التي تكفل بها انجلز كأول مساعدة مادية منه إلى ماركس، يستقر ماركس مع زوجته الحامل وابنته في بروكسل بعد أن طلبت منه بلجيكا عدم الاشتغال بالسياسة ويشغل مع فريديريك الذي لحق به فيما بعد في عدة أبحاث على غرار « الإيديولوجية الألمانية» التي تعتبر أشد لدعا من العائلة المقدسة وبدلا من استكمال كتاب الاقتصاد كتب ماركس (بؤس الفلسفة)، م بدأ ينشر في صحيفة ألمانية تنشر في بروكسل ما عرضه للمراقبة إلا أنه أسس 1847 جمعية للعمال الألمان (دون أن يترأسها) ويشارك في إنشاء جمعية ديمقراطية من أجل اتحاد كل البلدان ويولد له إدغار (الابن الذي انتظره طويلا) ماركس نائبا لجمعية الديمقراطيين التي تحول هدفها إلى هدف سياسي، الحكومة البلجيكية لم تتخذ إجراء غير التضييق، ما جعله يحضر في نفس السنة مع فريديريك انجلز افتتاح المؤتمر الثاني لعصبة الشيوعيين ويكلف ماركس بكتابة البيان الشيوعي الذي انشغل عنه بكتابة خطابين الأول حول التبادل الحر والثاني حول الاستغلال، ثم يكتب كارل ماركس بيان الحزب الشيوعي كأول عرض كامل للمادية التاريخية من شاب ألماني لاجئ في بروكسل لم يبلغ الثلاثين من عمره، النص غير الديني الأكثر انتشارا، يغادر ماركس بروكسل بعدها إلى فرنسا بعد إلغاء منع الإقامة الذي صدر بحقه سنة 1848 في أوضاع جد محتدمة على كل الجبهات ثم إلى كولونيا (بدايته الأولى كصحافي) للنضال السياسي فيرفع طلبات الحزب الشيوعي في ألمانيا ويكتب مع إنجلز أول برنامج سياسي عملي بأرضية مشتركة مع البرجوازية ويؤسس فيها صحيفة يومية اسمها (لانوفالغازيت رينان) (صحيفة الرين الجديدة) التي لم يكن ممكنا إعطاؤها سوى راية واحدة هي راية الديمقراطية ، 1849 يلتقي ماركس أمر بمغادرة الأراضي البروسية بعد أن اشتعلت الثورة في بروسيا وفي فرنسا يذهب ماركس إلى فرنسا ثم لندن بعد أن أعطى جل حصته من ميراث والده لأصدقائه لشراء أسلحة، يذهب إلى إنجلترا لا أحد له هناك ولا يحسن تكلم اللغة الانجليزية وهو ابن 31 سنة، لا أخبار عن زوجته وأبنائه الثلاثة ولا أخلص أصدقائه يواصل نضاله إلى أن أصبح في عمر 54 مرشدا فكريا للييسار العالمي 1872 وتترجم أعماله إلى الانجليزية والفرنسية، يتعرض ماركس إلى صدمات عنيفة حيث فقد 3 من أولاده ثم زوجته ثم تعرض للمرض في كبده أرغم على إثره إلى تقليل الوقت الممنوح للعمل الفكري إلى أن توفي يوم 14 مارس 1883، إلا أن إنتاجه

الفكري لم يتوقف بوفاته فقد صدر الجزء الثالث من رأس المال 1885 والجزء الثالث سنة 1894 بالإضافة إلى أعمال أخرى استمر إصدارها إلى غاية 1941 .

إن التمتع في سيرة حياة كارل ماركس يجد أنه « يرث من اليهودية فكرة أن الفقر لا يطاق وأن لا قيمة للحياة إلا إذا سمحت بتحسين مصير البشرية ويرث من المسيحية حلم مستقبل محرر يحب الناس فيه بعضهم البعض ويرث من عصر النهضة طموح وتدهن العالم بصفة العقلانية، ويرث من بروسيا اليقين من أن الفلسفة هي أولى العلوم وأن الدولة هي القلب المتوحد لكل سلطة، ويرث من فرنسا الاقتناع بأن الثورة هي الشرط لتحرير الشعوب ويرث من إنجلترا الولع بالديمقراطية وبالنزعة التجريبية وبالاقتصاد السياسي » (جاك أتالي، 2008، ص 09)، ورغم أن سيرة حياته تضمنت العديد من أفكاره إلا أنه يمكن الحديث عنها باختصار من خلال أربعة محاور رئيسية:

- الرأسمالية: يؤكد كارل ماركس أن التقدم التكنولوجي وتزايد الفوارق والمصالح المتناقضة في المجتمع الرأسمالي سيؤدي إلى صراع طبقي بين طبقة برجوازية مالكة لوسائل الإنتاج وأخرى مستغلة غير مالكة لوسائل الإنتاج أي أن علاقة « الاستغلال هي التي تجمع كل أصحاب رؤوس المال في علاقاتهم مع الطبقات الكادحة » (ريتشارد أوزبرن وبورن فان لون، 2005، ص 63)، وذلك من خلال التلاعب بفائض العمل الذي يعاد توزيعه بشكل غير عادل لمصلحة البرجوازي رغم أن العامل هو الذي أنجز العمل الزائد عن العمل الضروري الذي يتلقى مقابله أجرا زهيدا، إن العمل في المجتمعات الرأسمالية حسب ماركس يؤدي إلى الاغتراب الذي يعبر عن انفصال الإنسان عن عمله بسبب إحساسه بالعجز عن امتلاك ما ينتجه من سلع ويميز كارل ماركس بين ثلاث مستويات للاغتراب يتمثل الأول في التوضيع (l'objectivation) وهنا ينتج الإنسان بعمله شيء (منتج) خارج عنه أي مستقل وبالتالي يصبح غريب عنه، المستوى الثاني التخلي يكرس العامل حياته للرأسمالي من خلال إنتاجه لأشياء لا يمكنه أن يمتلكها ولا أن يسيطر عليها وبالتالي يصبح لا ينتمي لنفسه وإنما لشخص آخر، المستوى الثالث، التسخير هنا العامل لا يستطيع الإفلات من السلسلة التي تجعله على قيد الحياة (جاك أتالي، 2008، ص 102) وتحتّم عليه شراء سلع لعمال آخرون يشعرون بالاغتراب إلى درجة يتحول فيها العامل هو في حد ذاته إلى منتج، والوظيفة التاريخية التي تقع البروليتاريا هي قلب الرأسمالية التي حققت لفئة من البشرية امتيازات ضخمة في مدة قصيرة إلا

أنها في الواقع منطقة عبور فقط لاشتراكية ستتحقق بقيام ثورة تتجاوز رأسمالية كونية، هذه الثورة لن تتأتى الا اذا قامت بها طبقة محررة بامتياز ضد طبقة مضطهدة بامتياز

- الاقتصاد والمجتمع: " كان ماركس مهتما بشكل أساسي بالتطور الاجتماعي والتغير الاجتماعي وكان يؤمن أن الثروة والقوة ليستا موزعتين باعتدال في المجتمع، ولهذا لم يمكن مهتما بالطريقة التي يتم بها الوفاق الاجتماعي ولكن بالطريقة التي تحتفظ بها إحدى الجماعات بأسباب القوة والسيطرة على الجماعات الأخرى » (ريتشارد أوزيرن وفان لون، 2005، ص 59)، والمقصود بالجماعات هنا بالنسبة لماركس هو الطبقات التي تعتبر قالباً ينتمي إليه الأفراد حسب نظام توزيع العمل وعلاقات الملكية ونمط الإنتاج وبالتالي فالطبقة الاجتماعية تتشكل وتتطور وتتغير بفعل العوامل الاقتصادية، وبالتالي لا يمكن فهم وتفسير الظواهر الاجتماعية إلى من خلال ربطها الحتمي بالظروف الاقتصادية والمقصود بالاحتمية هنا أن دوافع الإحسان اقتصادية فقط، ورغم أنه لم يأتي على ذكر علم الاجتماع إلا أن أفكاره تنطوي «على كثير من عناصر علم الاجتماع لأنه قد لمس سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة كل منطقة من مناطق الفكر في علم الاجتماع » (ريتشارد أوزيرن وفان لون، 2005، ص 64)، وفي إطار صياغته لنظرية شاملة عن المجتمع الرأسمالي.

- الدين: يعتبر كارل ماركس « الدين تأوه المخلوق المضطهد ومشاعر عالم دون روح إنه أفيون الشعوب » (جاك أتا، 2008، ص70)، أي أن الدين ما هو في الحقيقة إلا منتج اجتماعي أي من صنع البشر وبالتالي الله أيضا صورة خلقها البشر في أذهانهم وهو وسيلة تسخرها السلطة (الطبقة البرجوازية) للسيطرة على الشعوب وبالتالي فالصلاة التي يصلحها البشر يطلبون فيها حاجاتهم من الله ما هي إلى وسيلة لإلهائهم عن المطالبة بحقوقهم الاجتماعية ممن سلبها منهم، ولأن الدين من صنع البشر ووعي البشر يتطور ويتغير وهذا التغيير والتطور تتحكم فيه العوامل الاقتصادية فإن الدين بالنسبة لكارل ماركس تفسره العوامل الاقتصادية، دعى كارل ماركس إلى قلب وعي هيجل من خلال الانطلاق من ظروف الحياة الواقعية عند محاولة فهم الدين وليس من المبادئ النظرية، وعلى هذا الأساس فكارل ماركس ينفي كل ما هو ديني من أجل تحقيق حرية البشرية معتبر أن المال هو إله إسرائيل الحسود وحتى نتخلص من الرأسمالية يجب أن نتخلص أولاً من اليهودية المقدسة للمال ثم من المسيحية التي تعتبر استمرارية لليهودية.

- التاريخ: بالنسبة لكارل ماركس « تاريخ جميع المجتمعات على وجه الأرض هو تاريخ لصراع الطبقات » (ريتشارد أوزيرن وبرون فان لون، 2005، ص110)، أي أن التاريخ لن يتطور إلى من خلال

الصراع الذي يتسبب فيه الإنسان وبالتالي الإنسان هو صانع التاريخ، والاقتصاد هو المتحكم في تطوره، ذلك أن صراع الطبقات الاجتماعية سببه ملكية طبقة برجوازية لوسائل الإنتاج وعدم ملكية الطبقة البروليتارية لها وبالتالي استغلال الطبقة البرجوازية للطبقة البروليتارية وإنشاء علاقات إنتاج غير متكافئة سيؤدي عندما تصل الطبقة البرجوازية للطبقة البروليتارية إلى الوعي الحقيقي بوضعيتها مقابل أن تصل الطبقة البرجوازية إلى الاضطهاد التام سيؤدي إلى إحداث ثورة حقيقية تحول أو تقضي على علاقات الإنتاج القائمة الممثلة للنظام الرأسمالي وهكذا يتطور التاريخ وينتقل إلى مرحلة أخرى، أي أن ماركس ينتقل من تفسير مادي إلى تطور تاريخي ستصبح فيه الدولة الرأسمالية مجتمع شيوعي لا وجود فيه للطبقات، أي أن الجدلية المادية أي الحتمية الاقتصادية (العلاقة جدلية بين إنتاج الإنسان المادي وصراعه بسبب هذا الإنتاج) هي تفسير التطور التاريخي .

رابعا : ماكس فيبر : 1864-1920

ولد ماكس فيبر يوم 21 أبريل 1864 في عائلة برجوازية ألمانية، والده المحامي البروتستانتي منحدر من عائلة الصناعيين والتجار كان عضوا في الحزب القومي الليبرالي، أما أمه كانت مثقفة جدا وناشطة اجتماعية ودينية، تعرف ماكس فيبر على الكثير من المفكرين ورجال السياسة المشهورين في عصره من طريق والديه على غرار ديتلي (Ditlhey) ومومسن (Mommson)، سنة 1882 بدأ ماكس فيبر دراسته العليا في جامعة هيدلبرج Heidelberg واختصار تخصص الحقوق لكنه درس إلى جانب الحقوق التاريخ والاقتصاد والفلسفة واللاهوت، قطع فيبر دراسته بعد 3 سدايسات ليؤدي سنة في الخدمة الوطنية كجندي بسيط ثم كضابط وأتمها بعد ذلك سنة 1884 في جامعة برلين Berlin ثم قوتينجرب Gottingen، شارك في العديد من النشاطات الجعوية والسياسية في الجامعة والمناورات العسكرية في الألزاس.

سنة 1889 تقدم فيبر برسالة دكتوراه بعنوان " تاريخ المؤسسات التجارية في العصور الوسطى " وبعد أن تعلم الايطالية والاسبانية تجاوز سنة 1890 امتحان آخر في الحقوق وشرع في انجاز بحث بعنوان " وضعية الفلاحين في بروسيا الشرقية " ليبدأ مباشرة مشواره المهني كأستاذ التعليم العالي (Professeur) سنة 1891 في كلية الحقوق جامعة برلين بعد أطروحة التأهيل التي تقدم بها بعنوان " التاريخ الزراعي الألماني ودلالاته في القانون العام والخاص " كما طرح في ذات السياق تقريرا حول وضعية العمال الريفيون في ألمانيا الشرقية سنة 1892، تزوج فيبر سنة 1893 وتحول اهتمامه من الحقوق إلى الاقتصاد السياسي حيث احتل مكانة مرموقة في جامعة هيدلبرج التي أصبح أستاذا جامعيا بها سنة 1894 في الاقتصاد السياسي وقد استهل

محاضراته بالحديث عن " الدولة القومية والاقتصاد السياسي "، كما كتب سنة 1896 " الأسباب الاجتماعية لانحطاط الحضارة القديمة" إلا أنه تعرض سنة 1897 لمرض عصبي شديد توقف بسببه عن العمل لمدة 4 سنوات سافر خلالها إلى عدة مناطق في محاولة لإيجاد حل لوضعيته الصحية وتهديتها.

عاد فيبر سنة 1902 إلى التدريس في الجامعة وشرع في إنجاز العديد من الأعمال العلمية بدءاً بأرشف العلوم الاجتماعية والسياسة الاجتماعية الذي ألفه مع ورنر سومبارت Werner Sombart سنة 1903، عقد مؤتمر في الولايات المتحدة الأمريكية سنة 1904 حول الرأسمالية والمجتمع الريفي في ألمانيا ونشر الجزء الأول من مؤلفه الشهير " الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية " أما الجزء الثاني فقد نشره في السنة الموالية سنة 1906 نشر عدة أبحاث على غرار " وضعية الديمقراطية البرجوازية في روسيا"، "دراسات نقدية لخدمة منطق علوم الثقافة"، سنة 1908 بدأ فيبر يهتم بعلم النفس الصناعي، أسس جمعية ألمانية تهتم بعلم الاجتماع وبدأ سنة 1909 الاشتغال على افتتاحية "الاقتصاد والمجتمع" مقدماً طرحاً جديداً لعلم الاجتماع يتحدث فيه عن سوسيولوجيا الفهم La Sociologie Compréhensive، إلا أن اندلاع الحرب العالمية الأولى أخر إكماله لهذا المؤلف 9 سنوات حيث وكلت له مهمة تسيير مجموعة من المستشفيات الموزعة على إقليم هيدلبرج أثناء الحرب إلى غاية 1915 وذلك بناءً على طلب منه، بعد إنهائه لمهمته أصدر فيبر " الأخلاق الاقتصادية للأديان العامة" ثم انشغل طيلة السنة الموالية 1916-1917 بعدة مهمات سياسية رسمية حيث قام بمجهودات كبيرة لإقناع أصحاب القرار في ألمانيا لتجنب إطالة الحرب من جهة وطرح وجهة النظر الألمانية في السياسة العالمية من جهة أخرى.

سنة 1918 سافر فيبر إلى فيينا من أجل تقديم دروس في جامعتها وهناك طرح علم الاجتماع السياسي وعلم الاجتماع الديني كنقد إيجابي للمفهوم المادي للتاريخ كما تحدث عن معنى الحياد القيمي في العلوم الاجتماعية والاقتصادية، سنة 1919 أكمل فيبر تأليف " الاقتصاد والمجتمع" إلا أنه لم ينشر في حياته.

توفي ماكس فيبر يوم 14 جانفي 1920، نشير الاقتصاد والمجتمع سنة 1922، كما تم نشر الدروس التي قدمها في جامعة فيينا خلال الموسم الجامعي 1918-1919 حول تاريخ الاقتصاد العام سنة 1924. (Rymond Aron, pp572 573) وفيما يلي سيتم التعرض إلى أهم الأفكار التي طرحها فيبر حول نظرية العلم، التاريخ وعلم الاجتماع، علم الاجتماع والدين، الاقتصاد والمجتمع .

-التاريخ وعلم الاجتماع: علم الاجتماع عند فيبر هو « المحاولة العلمية لتحقيق الفهم التأويلي أو التفسيري للفعل الاجتماعي وذلك بهدف الوصول إلى تفسير سببي لاتجاهاته ونتائجه » (السيد عبد العاطي السيد،

2005، ص 181)، أي أن انجاز الفهم التفسيري للفعل الاجتماعي الهادف مهمة المختص في دراسة ظواهر المجتمع المختلفة على اعتبار أن رسم هوية واضحة لمجتمع ما تتحكم فيها العلاقات التفاعلية المتبادلة بين فاعليه الاجتماعيين، وبالتالي فإن علم اجتماع التفاعل الاجتماعي الفيبري يبني على فهم الدلالات أو المعاني الذاتية التي يعطيها كل فاعل اجتماعي لأفعاله، وبما أن الفعل الاجتماعي يتجه نحو ذوات إنسانية تحمل تمثلات معينة لمعاني الفعل الاجتماعي فإن توجيه الفعل الاجتماعي (الهادف والممتلك للمعنى) بأخذ بعين الاعتبار أفعال الآخرين، وعلى هذا الأساس تصبح أفعال الآخرين موجّهات للفعل الاجتماعي عند فيبر، أي أن تبادل الأفعال بين الأفراد يكون على أساس فهم المعنى الذي يعطيه كل فرد لسلوكه (يوجد سياق ومجرى للفعل لكن لا يوجد نفس الفهم لهذا السياق بالنسبة لكل الفاعلين الاجتماعيين) .

هذا ما يجعل البحث في علم الاجتماع غير مكتفي بمعرفة الطريقة التي تنتظم بها القيم والمعتقدات وإنما يتجاوزها إلى الاستفهام السببي عن الطريقة التي حدثت بها الأشياء والتأثيرات المتبادلة بين مختلف البنى الاجتماعية، إن حديث ماكس فيبر عن الفهم السببي لا ينحصر في علم الاجتماع فقط وإنما يشمل علم التاريخ أيضا وتجدر الإشارة هنا إلى أن اهتمام ماكس فيبر بعلم الاجتماع جاء متأخرا مقارنة بانشغاله المبكر بالاقتصاد والقانون واللاهوت والتاريخ، كما أن انفتاحه على علم الاجتماع جاء من خلال الانشغال بعلم التاريخ والاقتصاد، ورغم أن وجهة النظر الماركسية للعلمين كانت المهيمنة، إلا أن فيبر رفض القول بأن التاريخ عبارة عن قوانين عامة (يمكن صياغة قوانين لتطور التاريخ الإنساني) بسبب عدم امتلاكه للمعنى المتضمن في الفعل الاجتماعي وبالتالي التاريخ عند فيبر أفعال وحوادث فردية أي « مجرد سياق إنساني » (السيد عبد العاطي السيد، 2005، ص180)، أما الفهم السببي للتاريخ عند فيبر يتأكد من خلال رفضه لتفسير التاريخ بعامل (سبب) واحد فقط وغنما بعدة أسباب ويمكن أن ترتب حسب أهميتها، و« بعبارة أخرى العلوم التاريخية والسوسيولوجية تريد أن تقدم شرح سببي في نفس الوقت الذي تجري فيه التأويل أو التفسير المفهومي، إن التحديدات السببية واحدة من الإجراءات التي تضمن صحة وعمومية النتائج العلمية » (Rymond Aron, p512)، مع التأكيد على أهمية البعد التاريخي للظاهرة الاجتماعية كأساس للحكم على المغزى الثقافي للظاهرة.

الاقتصاد، الرأسمالية والدين: عارض ماكس فيبر كارل ماركس من الناحية المنهجية معتبرا « الظروف الاقتصادية ليست هي القوة الدافعة في الحياة الاجتماعية ولكن روح المجتمع هي التي تسيّر تلك الحياة، ولم يحاول أن يتصور هذه الروح كما يتصورها الفلاسفة المثاليون، فليست الروح عنده قوة غير طبيعية ولكنها

تشبه القيم المشتركة التي توجه وتسود أفراد المجتمع» (محمد عاطف غيث، 1986، ص22)، أي أن دوافع الإنسان لا يمكن أن تفسر بالعامل الاقتصادي فقط وإنما بمجموعة من العوامل والدوافع الاجتماعية التي تعتبر موجهات قيمة لسلوك الأفراد، إن إعطاء فيبر أهمية للمعتقدات والقيم لا يعني إهماله للعوامل الاقتصادية التي يعتبرها حاسمة خاصة مع التأثير الذي يمارسه البناء الاقتصادي على بنى المجتمع الأخرى وإنما هو تأكيد لاستحالة تحويل العناصر الثقافية الواعية والفعالة والمسؤولة عن توليد المعاني إلى مجرد حتميات اقتصادية ومادية أحادية منعكسة عن الوعي الطبقي والمصالح الاقتصادية تخضع الفواعل البشرية لقوانينها وتجربتها من أي دور بناء في صياغة هذه القوانين.

ركز فيبر اهتمامه بموضوع الرأسمالية سنة 1904 في المؤتمر الذي عقده في الولايات المتحدة الأمريكية حول الرأسمالية والمجتمع الريفي في ألمانيا، وفي ذات السنة نشر الجزء الأول من مؤلفه الشهير "الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية" الذي حاول من خلاله إبراز الدور الكبير الذي تلعبه القيم الدينية (المتضمنة في المذهب البروتستانتي للمسيحية) في ظهور قيم وأخلاق عمل أدت إلى تطور وازدهار الرأسمالية التي تعتبر تنظيم عقلائي رشيد أي أن الأديان بالنسبة لفيبر « يمكن أن تصبح من عوامل التقدم وتقود المجتمعات إلى التغير الاجتماعي والبروتستانتية مثال على ذلك » (ريتشارد أوزيرن و برن فان لون، 2005، ص65)، أي أن البروتستانتية الزاهدة ممثلة في الطائفة الكالفينية أنتجت تاريخيا الرأسمالية بفضل القيم المتضمنة لنوع « من ضبط النفس المنظم والمنسق فيما يتعلق بالملذات المادية والاستغلال النافع والبناء للوقت، ومن هنا كان اللهو والفراغ والمغامرة والإفراط في النوم شواهد مؤكدة للفضيلة الناقصة ومن هنا أيضا لا يتحكم على جماعة المؤمنين أداء بعض الالتزامات والواجبات الروحية المألوفة كالصلاة مثلا، بل يتعين عليهم النضال والكفاح الشاق في دعوتهم الدينية » (السيد عبد العاطي السيد، 2005، ص 194) وهذا ليس من أجل الخلاص ولكن باعتباره دليلا على أن الفرد ليس من المغضوب عليهم، إن القول بهذه العلاقة بين الدين والاقتصاد أي (الأخلاق البروتستانتية والنظام الرأسمالي) لا يعني اعتماد تفسير روحي واستبعاد العوامل الأخرى المساهمة في إحداث التطور والتغير في كل البنى الاجتماعية (دراسة تناولت جانب واحد أدى لتطور الرأسمالية يمكن لدراسات أخرى أن تتناول جوانب أخرى أدت إلى تطور الرأسمالية كالتجارة، السياحة، الاستعمار، الثورة التكنولوجية ...)، خاصة وأن موقف ماكس فيبر كان رافضا للتغير الأحادي والحتمي (الاقتصادي) للتطور الاجتماعي .

- على المستوى المنهجي: الاهتمام المتأخر لماكس فيبر بعلم الاجتماع لم يمنعه من ترك إسهام منهجي متميز جعل الكثير من المنظرين ينعته بعالم الاجتماع المحدث وفيما يلي اختصار لبعض المساهمات المنهجية لماكس فيبر:

- قدم فيبر مفهوم النماذج المثالية باعتبارها « تصور منهجي يسهل عملية فهم وتفسير الظاهرة الاجتماعية » (السيد عبد العاطي السيد، 2005، ص 185)، وهو عبارة عن بناء عقلي يتكون من مفاهيم مجردة لا توجد إسقاطات لها على أرض الواقع الهدف منها توجيه الباحث نحو أضل طريقة لدراسة ظاهرة اجتماعية معينة أي الاعتماد على علاقات غير واقعية من أجل تحليل علاقات واقعية.

- يدعو ماكس فيبر إلى الانفتاح على العلوم الطبيعية من خلال تفسير معاني الأفعال بنفس الدقة التي تفسر بها العلوم الطبيعية ظواهرها مميّزا بين المناهج المستخدمة في العلوم الطبيعية والمستخدمّة في العلوم الاجتماعية، نظرا لصعوبة دراسة الظاهرة الاجتماعية فإن الحقيقة الواقعة لا يمكن التعبير عنها بموضوعية متناهية خاصة وأن الظواهر الاجتماعية يعبر عنها بوجهات نظر مختلفة ومتنوعة تتوع واختلاف الفهم التفسيري الذي يعطيه الأفراد لأفعالهم وعلاقاتهم والظواهر المحيطة بهم ويميز فيبر هنا بين أسلوبين للفهم « فهم مباشر يستند على الملاحظة، وفهم تفسيري يستند على معرفة الواقع » (السيد عبد العاطي السيد، 2005، ص 187).

- يتحدث فيبر عن امكانية التنبأ في علم الاجتماع شريطة أن تحكم معايير عقلانية في الأفعال، أي أنه كلما كانت الأفعال عقلانية كلما أمكن التنبأ بنتائجها، والفعل يكون عقلانيا بالقدر الذي يستطيع فاعله أن يضع حسبانه الآخرين أثناء القيام به (السيد عبد العاطي السيد، 2005، ص 186).

- إن كون علم الاجتماع يبنّي على الفهم التفسيري الذي يعطيه الأفراد لأفعالهم من جهة وكون هذه المعاني متنوعة وكثيرة بل غير متناهية، يعني استحالة وجود فهم عام قادر على التعبير عن التنوع الذي لا نهاية له أي يستحيل وجود نسق نظري نهائي ومكتمل وبالتالي فمعرفة الباحث الاجتماعي للواقع يبقى دائما ناقصا، نسبيا، افتراضيا.

خامسا : اميل دوركايم: 1858-1917

ولد اميل دوركايم يوم 15 أبريل 1858 بإبينال (épinal) بفرنسا في عائلة حاخامات، درس في إبينال وفي نهاية دراسته الثانوية نجح دوركايم في المسابقة العامة وبدأ التحضير في ثانوية Louis- Le

Grand لمسابقة المدرسة العليا، والتي دخلها سنة 1879 متخصصا في الفلسفة، بعد ثلاث سنوات ينهي دوركايم دراسته وستأنف مباشرة تدريس الفلسفة في نفس المدرسة سنة 1882، ولأن الفلسفة والمدرسة لم تكن سقف طموحات دوركايم، قرر أخذ إجازة سنوية في الموسم 1885-1886 لدراسة العلوم الاجتماعية في باريس ثم ألمانيا، وعند عودته في السنة الموالية بدأ الإنتاج الفكري لدوركايم والذي لم يتوقف إلى حين موته مستهلا ذلك بنشره ثلاث مقالات في مجلة فلسفية: تحدث الأول عن الدراسات الأخيرة في العلوم الاجتماعية، أما الثاني " العلم الايجابي للأخلاق في ألمانيا" والثالث " الفلسفة في الجامعات الألمانية"، ثم تعينه بعد ذلك سنة 1887 وبقرار وزاري أستاذا للتعليم العالي في علوم التربية والعلوم الاجتماعية في جامعة Bordeaux حيث ألقى أولى محاضراته في علم الاجتماع .

نشر دوركايم سنة 1888 دراسته الشهيرة حول الانتحار ونسبة المواليد في فرنسا، إلا أن انشغاله بالعلوم الاجتماعية وعلم الاجتماع لم يفصله عن الفلسفة التي استمر في تدريس الطلبة المتخصصين بها معتبرا أن رواد الفلسفة (مونتسكيو، اريسطو، كونت) ما هم إلا الأوائل المؤسسون لعلم الاجتماع .

سنة 1893 يقدم اميل دوركايم الدكتوراه حول " تقسيم العمل الاجتماعي" ويرفقاها بأطروحة أخرى حول إسهام مونتسكيو في تأسيس العلوم الاجتماعية، وبعده بسنتين فقط 1895 يصدر دوركايم مؤلفه الشهير "قواعد المنهج في علم الاجتماع" والذي يعتبر واحدا من أثقل المؤلفات وزنا، نظرا لإسهام دوركايم الفكري تم تحويل محاضراته في علم الاجتماع إلى نصوص مرجعية في التدريس سنة 1896، وفي نفس السنة يؤسس دوركايم دورية في علم الاجتماع باسم L'année Sociologique .

لم يكتفي دوركايم بالمكانة العلمية المرموقة التي احتلها وإنما واصل إنتاجه الفكري متحدثا سنة 1896 عن موضوع "حظر زواج المحارم وأصله، تعريف الظاهرة الدينية" كما رجع مرة أخرى لموضوع "الانتحار " سنة 1897، ثم "الطوطمية" سنة 1900 سنة 1902 يمنح لدوركايم كرسي التدريس في علوم التربية في جامعة السوربون وفي 1906 ينشئ كرسي تدريس آخر في كلية الآداب في باريس يقدم من خلاله دروس في علم الاجتماع وعلوم التربية .

سنة 1909 تحدث في دروسه عن المذاهب التربوية الكبرى في فرنسا منذ القرن 18، ثم الأشكال البدائية للحياة الدينية سنة 1912، ورغم أن أشغال دوركايم كان متنوعا بين الفلسفة وعلوم التربية وعلم الاجتماع إلا أن إسهاماته المعرفية والمنهجية في علم الاجتماع جعلت الكثير من المنظرين يرجعون إليه فضل التأسيس الفعلي لعلم الاجتماع ويموقعونه في فضاء علم الاجتماع أكثر من أي فضاء آخر ولعل هذا يترجم ولو بشكل

بسيط بتغييره سنة 1913 لاسم كرسي الأستاذية الذي كان يشغله في جامعة السوربون من كرسي أستاذية في علوم التربية إلى كرسي أستاذية في علم الاجتماع.

في السنتين الأخيرتين من حياة دوركايم يتجه إلى تخصيص أبحاثه وإصداراته بالحديث عن الأوضاع في ألمانيا حيث نشر كتابين تضمن الأول عنوان "ألمانيا فوق كل شيء" والثاني "العقلية الألمانية والحرب" متأثراً بموت ابنه الوحيد سنة 1915 في الحرب، توفي دوركايم يوم 15 نوفمبر 1917 تاركا وراءه إسهاما فكريا لم يمت بموته (RymondArond, 1967, p400).

-موقف دوركايم من الوضعية: موقف دوركايم المعارض أحيانا والموافق أحيانا أخرى للوضعية من أكثر المحاور التي يمكن من خلالها مناقشة أهم أفكاره خاصة المنهجية منها، حيث وجه دوركايم مجموعة من الانتقادات للاتجاه الوضعي الذي لم يخرج علم الاجتماع من طابع العموميات، بدءا برفضه « لنظرية كونت عن وحدة العلوم، كما رفض قانون المراحل الثلاث لما ينضوي عليه من تأملات ميثافيزيقية » (السيد عبد العاطي السيد، 2005، ص 127)، خاصة وأن كونت لم يوضح متى تبدأ وتنتهي كل مرحلة ولم يثبت عدم تداخل المراحل مع بعضها كما لم يبرهن على ثبات ترتيبها، رفض دوركايم أيضا الفردية النفعية لهربرت سبنسر، وحاول إضفاء طابع العلمانية على العلم من خلال التعامل مع الدين كظاهرة اجتماعية مثل كل ظواهر المجتمع « إن المبدأ الكامن وراء هذا المنهج هو أن الدين والتشريع و الأخلاق والوقائع الاقتصادية يجب أن تعامل كلها بطريقة تتلاءم وطبيعتها الخاصة كوقائع اجتماعية » (السيد عبد العاطي السيد، 2005، ص 134) ورغم أن دوركايم عمل على تحديد موضوع لعلم الاجتماع ومنهجية واضحة لدراسته إلا أنه اعترض على المماثلة التي قام بها كونت وسبنسر بين الظاهرة الاجتماعية والطبيعية بطريقة لا تراعي خصوصية الظاهرة الاجتماعية التي لا يجب أن تفسر إلا بالعوامل الاجتماعية .

-موقف دوركايم من الاشتراكية الماركسية: إن حديث دوركايم عن علم الاجتماع في ظروف عصره أشبه بتأييد للتيار الاشتراكي لذا نجد أن دوركايم عمل جاهدا على تخليص علم الاجتماع من الطابع الاشتراكي وإخراجه كعلم لا يمكن لأي إيديولوجية أن تطوعه وتسخره لخدمة مصالحها، خاصة وأن الأزمة التي يعيشها المجتمع الحديث - حسب - « لم تكن أزمة عن تصارع المصالح المادية بل كانت في جوهرها أزمة إعادة صنع القانون أو الدستور الأخلاقي للجميع » (السيد عبد العاطي السيد، 2005، ص 141)، وعلى هذا الأساس لا علاقة للنظام الاقتصادي (الرأسمالية) بالصراع الحاصل في المجتمعات بين مختلف فئاته والمتضررة على حد سواء، أي أن الضرر شمل أصحاب العمل كما شمل العمال مع اختلاف نوعيته وحدته،

لذا فالحديث عن الملكية والصراع الطبقي مسائل ثانوية أمام البحث في موضوع الوفاق الاجتماعي الذي سينتج عنه التكامل في المجتمع بدلا من الصراع.

- أهم أفكار دوركايم الاجتماعية:

5-1ساهم اميل دوركايم بقسط كبير في تحديد مجال علم الاجتماع وطبيعة الظواهر التي يعالجها هذا العلم وكذا الأسلوب المنهجي لهذه المعالجة، وهو أول من حدد خصائص الظاهرة الاجتماعية بوصفها:

- أشياء: يقول دوركايم *il faut considérer les faits sociaux comme des choses* (Rymond Aron, 1967, p 363) أي أن الظواهر الاجتماعية أشياء ويجب أن تدرس بوصفها أشياء، بمعنى أن تقع خارج ذوات الأفراد ومستقلة عن شعورهم الذاتي وأن يتحرر الباحث من كل فكرة سابقة عن الظواهر التي يتناولها بالدراسة حتى لا تؤثر على تفسيراته للظواهر أي التجرد من الذاتية والتزام الموضوعية في كافة مراحل البحث .
- جبرية: أي أن الظواهر الاجتماعية تمارس قهر وإلزام على الأفراد والجماعات وبالتالي لا يملك الفرد الحرية في إتباع نظام اجتماعي دون آخر خاصة وأنها سابقة للوجود الفردي.
- عمومية: أي أنها لا يمكن أن تتواجد في مكان دون آخر وبالتالي « يمكن أن نطبق مقياس العمومية في اكتشاف الحقائق الاجتماعية التي يمكن أن ترقى إلى مرتبة الظواهر، وبالتالي فإن علم الاجتماع لا يهتم إلا بالظواهر ذات الصفة العمومية » (محمد عاطف غيث، 1986، ص 26).

5-2الظواهر الاجتماعية مستقلة عن ذوات الأفراد ولا يمكن دراستها وتفسيرها بمتغيرات فردية أو نفسية أي أن الاجتماعي يفسره الاجتماعي فقط» إن ما هو اجتماعي - في نظر دوركايم - لا يمكن تحليله أو تجزئته إلى ما هو أبسط منه، فهو شيء فريد قائم بذاته، ومن ثم يكون العنصر السيكولوجي الفردي أمرا غير ملائم تماما « (السيد عبد العاطي السيد، 2005، ص 134) .

5-3اللامعيارية (الأنومي): تعبر عن حالة الصراع بين الرغبة في إشباع الاحتياجات الأساسية للفرد وبين الوسائل المتاحة لإشباع تلك الاحتياجات، هذا الصراع يؤدي إلى ضعف المعايير الضابطة في المجتمع وبالتالي فقدان السيطرة على سلوك الأفراد الذي قد يؤدي إلى خلق فوضى وعدم استقرار في المجتمع وهنا ينبغي التأكيد على أن « الأنوميا لا تدل هنا أبدا عن فعل عدم احترام القواعد بقدر ما تعبر عن خاصية عدم التكيف، وبالتالي الفاعل الاجتماعي لم يقع في خطأ تجاوز المعايير ولكنه مجبر بتأثير محيطه الاجتماعي

والثقافي (Aillet et autres, 2000, p 21)، وبالتالي فدراسة دوركايم لموضوع الانتحار كانت في إطار البحث عن العوامل الاجتماعية والضغوط الأخلاقية المحركة للسلوك الفردي المنحرف كالجريمة أو الانتحار التي يعتبرها دوركايم «أمر سوي في المجتمعات التي لا يسيطر عليها الشعور الجمعي، والتي طورت فيها النزعة الفردية شعورا بالمسؤولية الأخلاقية، وحيث ينحرف فيها الأفراد عن المعايير الجمعية، عندئذ وفي هذه الحالة فقط يصبح التغير الأخلاقي أمرا ممكنا في ذاته » (السيد عبد العاطي السيد، 2005، ص 158).

يعتبر انحراف الأفراد عن المعايير الجمعية تعبر عن حالة مرضية أو باثولوجية حسب دوركايم، وبما أن المجتمع كائن عضوي والكائن العضوي قد يصاب بعزل مختلفة الحدة فإن الجسم الاجتماعي هو الآخر تختلف كثافته المرضية بين الخفة والحدة، وعلى هذا الأساس فسر دوركايم الاتجاهات الثورية التي يريد زعزعة استقرار الجسم الاجتماعي الذي وصل إلى حالة مرضية في غاية الحدة.

4-5 التضامن الاجتماعي وتقسيم العمل: « التضامن في المجتمعات المتعددة يعمل مثل الصمغ الاجتماعي من خلال القيم والعادات والمعتقدات التي تجمع الفرد ببقية أفراد المجتمع وهذا هو الضمير الجمعي أو النظرة الجماعية التي تبقى الفرد في مكانه » (ريتشارد أوزيرن وبرن فان لون، 2005، ص 55)، أي أن القيم الجمعية تمارس ضبطا اجتماعيا ووجودها ضروري لتحقيق التماسك والتضامن بين أفراد المجتمع، وعلى اعتبار الميزة الأخلاقية للقيم الجمعية فإنها ستشكل نوع من الضمير الجمعي الذي ستوكل إليه مهمة الرقابة الآلية على كل تفاعلات النسق، النظام الاجتماعي عند دوركايم إذا عبارة عن كيان أخلاقي يتخذ من الضمير الجمعي (قوة أخلاقية) وسيلة لتحقيق التكافل والتعاون والانسجام بين أفراد المجتمع الواحد، والتضامن الاجتماعي عند دوركايم شكلان يرتبط ظهور كل شكل بدرجة تعقد المجتمع، فكلما أصبح المجتمع أكثر تعقيدا من خلال توزيع العمل فإن التضامن الآلي يختفي ويحل التضامن العضوي محله » (ريتشارد أوزيرن وبرن فان لون، 2005، ص 55)، أي أن التضامن الآلي يميز مجتمعات بدائية بسيطة تضبطها العادات والتقاليد، وظائف أفرادها غير معقدة ولا تحتاج إلى تقسيم العمل الاجتماعي، أما التضامن العضوي فيميز المجتمعات المتطورة الصناعية المعقدة التي تتحكم فيها قوى القانون والاقتصاد والمصالح وبالتالي يكون «تقسيم العمل الاجتماعي فيها ضرورة ملحة، تقسيم العمل الاجتماعي عند دوركايم لا يمكن أن يفسره الملل والضجر، ولا السعي وراء السعادة، ولا الرغبة في زيادة أداء العمل الجماعي، تقسيم العمل الاجتماعي ظاهرة اجتماعية لا يفسره إلا ظاهرة اجتماعية أخرى، والظاهرة الاجتماعية المفسرة لتقسيم العمل

الاجتماعي تتركب من حجم المجتمع و كثافة المادية وكثافة الأخلاقية (Rymond Aron, 1967, p 328)

خلاصة: تعتبر محاولات تفسير الظواهر الاجتماعية عملية تطور مستمر ذلك أن سياق حدوثها تتدخل فيه خصوصية الزمان والمكان والثقافة والعادات والتقاليد، وهو تدخل ينسحب أيضا على صياغة النماذج التفسيرية (النظريات) لهذه الظواهر الاجتماعية، وبالتالي يصبح الحديث عن نظرية في علم الاجتماع حديث عن تراث نظري له جذور عميقة عمق التفكير الإنساني انبثقت عنه إما بواسطة النقد أو تطوير نماذج نظرية أخرى، وهذا هو الاعتبار الرئيسي الذي تم على أساسه حصر الحديث عن ابن خلدون ،اوغست كونت ،كارل ماركس ،ماكس فيبر ،اميل دوركايم كرواد أوائل ،أي أن النماذج النظرية الكبرى الذي ظهرت فيما بعد تأسست على أعمالهم

مراجع المحور

- 1-عبد الرحمان ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ،تحقيق أبي عبد الرحمان عادل بن سعد ،الدار الذهبية للطبع و النشر و التوزيع ، القاهرة ،2006،،ص8
- 2-المرجع نفسه ، ص46
- 3-المرجع نفسه ،ص44
- 4-المرجع نفسه ،ص9
- 5-ابراهيم عيسى عثمان :النظرية المعاصرة في علم الاجتماع ،الطبعة الاولى ،دار الشروق للنشر و التوزيع ،عمان ،2008 ،ص82
- 6-RYMOND Aron , les étapes de la pensée sociologique,édition Gallimarde,1967,p p 126 127
- 7-ريتشارد أوزيرن و بورن فان لون :أقدم لك علم الاجتماع ،ترجمة حدي الجابري ، الطبعة الأولى ،المجلس الأعلى للثقافة ،القاهرة ،2005 ،ص 35
- 8-المرجع نفسه ،ص36
- 9-محمد عاطف غيث :علم الاجتماع ،دار المعرفة الجامعية ،الاسكندرية ،1986،ص14
- 10-السيد عبد العاطي السيد :النظرية في علم الاجتماع ،دار المعرفة الجامعية للنشر و التوزيع ،الاسكندرية ،2005،ص59
- 11-RYMOND Aron,Opcit,p121
- 12-Ibid,140
- 13-Ibid,p104
- 14-السيد عبد العاطي السيد ،مرجع سابق ،ص56

15-المرجع نفسه ،ص63

16-جاك أتالي :كارل ماركس أو فكر العالم سيرة حياة ،ترجمة محمد صبح ،الطبعة الأولى ،دار كنعان للدراسات و النشر و الخدمات الاعلامية ،2008 ،ص33

17-المرجع نفسه ،ص63

18-المرجع نفسه ،ص09

19-ريتشارد أوزيغن و بورن فان لون ،مرجع سابق ،ص63

20-جاك أتالي ،مرجع سابق ،ص 102

21-ريتشارد أوزيغن و بورن فان لون ، مرجع سابق ،ص59

22-المرجع نفسه ،ص58

33-جاك أتالي ،مرجع سابق ،ص70

34-ريتشارد أوزيغن و بورن فان لون ، مرجع سابق ،ص110

35- RYMOND Aron,p p 572 573

36-السيد عبد العاطي السيد ،مرجع سابق،ص181

37-المرجع نفسه ،ص180

38- RYMOND Aron,Opcit,p512

39-محمد عاطف غيث ،مرجع سابق،ص22

40-ريتشارد أوزيغن و بورن فان لون ، مرجع سابق،ص65

41-السيد عبد العاطي السيد،ص194

42-المرجع نفسه،185

43-المرجع نفسه،ص187

44-المرجع نفسه،ص186

45-RYMOND Aron,Opcit,p400

46-السيد عبد العاطي السيد،مرجع سابق ،ص127

47-المرجع نفسه134

48-المرجع نفسه ،ص141

49- RYMOND Aron,Opcit,p363

50-محمد عاطف غيث مرجع سابق ،ص 26

51-السيد عبد العاطي السيد ،مرجع سابق ،ص134

52-المرجع نفسه ،ص 134

53- AILLET Véronique, LE QUEAU Pierre-le, OLM Christine. (2000). De l'Anomie a la déviance : réflexions sur le sens et la mesure du désordre social. Cahier de recherche n°145.Paris.Centre de la recherche pour l'étude et l'observation des conditions de vie (CREDOC),p21.

54-السيد عبد العاطي السيد ،مرجع سابق ،ص158

55-ريتشارد أوزيرن و بورن فان لون ، مرجع سابق،ص55

56-المرجع نفسه ،ص55

57-RYMOND Aron,Opcit,p328

المحور الرابع : مداخل النظريات الكبرى في علم الاجتماع

تمهيد

أولا : المدخل الخلدوني (الإسلامي)

ثانيا: المدخل الوضعي و ما تفرع عنه (النظرية الوظيفية ، النظرية البنيوية ، نظرية الفعل)

ثالثا: المدخل الماركسي و ما تفرع عنه (النظرية الماركسية ، النظرية الماركسية المحدثه)

خلاصة

مراجع المحور

تمهيد : رغم خصوصية كل مرحلة من مراحل التفكير الاجتماعي إلا أنه لا يمكن إيجاد حدود فاصلة بينها ذلك لأن كل مرحلة يؤسس لها من ظروف تميزت بها مرحلة سابقة لها، كما أن التقدم اللاحق للتفكير الاجتماعي ما هو إلا تراكم للمعرفة سيؤدي في مرحلة معينة إلى تشكيل بناءات تفسيرية وحتى تنبئية لمختلف الظواهر سواء كانت اجتماعية أو طبيعية شرط أن يشكل هذا البناء النظري حسب بارسونز « وحدة لمفاهيم مترابطة متساندة منطقياً وبنائياً، لها مرجعية امبريقية في الواقع، تشكل فيها العلاقات بين الأجزاء إمكانية اشتقاق فرضيات جديدة أو تعميمات تعبر عن انتظامات امبريقية » (إبراهيم عيسى عثمان، 2008، ص 16) .

نظراً لخصوصية معالجة المشكلات البحثية في العلوم الاجتماعية خاصة المتعلقة بتعدد مداخل معالجتها فإنه يمكن الحديث عن عدة مداخل نظرية في علم الاجتماع يعالج كل مدخل منها الظاهرة الاجتماعية بأسلوب يختلف عن الآخر إلا أن الهدف في النهاية يبقى فهم و تفسير و التنبأ و التحكم في الظاهرة الاجتماعية أي بلوغ الدقة بأكبر قدر ممكن في معالجة المعطيات و صياغة النتائج .

أولاً : المدخل الخلدوني (الإسلامي)

يقدم المدخل الإسلامي صياغة لمقولات علمية تفسر السلوك الإنساني إنطلاقاً من العقيدة الإسلامية و ذلك في إطار التميز عن علم الاجتماع الغربي الذي (حسب المشتغلين على تأسيس و تطوير هذا المدخل) لا يستطيع تفسير الظواهر الاجتماعية المنتجة في مجتمعات إسلامية لاختلاف المرجعيات والخصوصيات الثقافية للمجتمعات الإسلامية عن المجتمعات الغربية (مع العلم أن الكثير من النظريات تم تمت صياغتها من بحوث أجريت في مجتمعات إسلامية) ،يعتمد المدخل الإسلامي على العقيدة الإسلامية كإطار مرجعي لتحليل وتفسير السلوك الاجتماعي و العلاقات الاجتماعية الظواهر و المشكلات الاجتماعية أي أنه يقدم نموذج تصوري مبني على المسلمات و الحقائق الواردة في الدين الإسلامي سواء كانت في القرآن الكريم أو السنة المطهرة ،وتجد هذه المحاولة التنظيرية جذورها لها في نظرية عبد الرحمان ابن خلدون (العربي المسلم) الاجتماعية والتي بحثت علم التاريخ و حققت في مذهبها ،ال عمران و ما يعرض فيه من العوارض ،أخبار العرب و أجيالهم و دولهم ،أخبار البربر بأسلوب و بمنطق يستند على العقيدة الإسلامية.

ثانيا :المدخل الوضعي

اقتترنت الوضعية كتيار فكري بأغوست كونت الذي حارب كل ما هو تأملي وميثافيزيقي في محاولة لتأليه العلم (الوضعية)، إلا أن انتزاع المظهر السلبي لمفاهيم التصنيع والصراع الطبقي في نظريات سان سيمون يظهر جذورا للوضعية في أبحاثه، كما أن دعوة جون ستيوارت ميل وهربرت سبنسر لعدم اختلاف مناهج العلوم الطبيعية عن مناهج العلوم الاجتماعية وكذا اهتمامهما بالمنهج الامبريقي جعلهما يتموقعان في الإطار العام للوضعية على غرار دوركايم الذي أثبت أعماله انتمائه لهذا التيار التنظيري .

إن تطوير مقولات الوضعية والتعمق فيها ومحاولة إيجاد تبريرات للكثير من تحليلاتها من جهة وانتقاد إسهامها من جهة أخرى أنتج للفضاء العلمي نظريات أخرى تعتبر الوضعية أصلا لها على غرار النظرية الوظيفية.

- النظرية الوظيفية: تطور مفهوم الوظيفة من علم الأحياء أي أن أصل النظرية الوظيفية يعود إلى المماثلة التي قامت بها الوضعية بين العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية، «يفترض الاتجاه الوظيفي ترابط الأجزاء وتكاملها وظيفيا، وجد كل جزء في النسق ليؤدي وظيفة أو أكثر » (إبراهيم عيسى عثمانى، 2008، ص 42)، ويشير روبن هيرتون في هذا الإطار بأن الوظائف التي تؤديها أجزاء نوعان ظاهرة وكامنة تحدث في لا وعي الأفراد أي أنهم لا يخططون لوقوعها.

- النظرية البنائية: يعتبر مجال اللغة أول اهتمام للنظرية البنائية إلا أنها سرعان ما ظهرت في العلوم الاجتماعية « تعرف البنائية الواقع في حدود علاقته بالعناصر وليس في ضوء علاقته بالأشياء والحقائق الاجتماعية وفي هذا الصدد فإن المبدأ الأساسي الذي تركز عليه البنائية هو أنه لن يكون هناك معنى لما يمكن ملاحظته إلا بالقدر الذي يمكن فيه ربطه ببناء أو نظام أساسي » (السيد عبد العاطي السيد، 2005، ص 348)، يعتبر عالم اللغويات السويسري فرديناند دي سوسيور Ferdinand De Saussure مؤسس البنائية المحدثة متأثرا بأعمال اميل دوركايم حول اللغة.

- نظرية الفعل: كثير ما يرتبط الحديث عن الفعل بإسهام ماكس فيبر إلا أن نظرية الفعل التي ظهرت كاتجاه نقدي تطوري للوضعية تتجسد في إسهام العديد من العلماء المتأثرين بسوسيولوجيا الفهم التي تحدث عنها أوغيست كونت، على غرار ولهام ديلسي الذي (الفهم والعلوم الاجتماعية)، وجورج زيمل (علم الاجتماع الشكلي)، فلريد وباريتو (الفعل الاجتماعي والنسق الاجتماعي) .

ثالثاً: المدخل الماركسي: إن القراءات المشوهة لمادية كارل ماركس التاريخية من جهة والتغيرات التي عرفها النظام الرأسمالي من جهة أخرى وعدم تمكن التيارات النظرية من الإحاطة الشاملة بتفسير الواقع الاجتماعي أدى إلى ظهور محاولات توضيحية ثم تطويرية للماركسية على غرار ما طرحه جورج لوكاش (الماركسية الهيجلية)، انطونيو جرامشي (الهيمنة والسيطرة من خلال امتلاك القوة)، لويس الثوسير (البناءات، نمط الإنتاج، ايديولوجية الدولة)، رالف داهرنديروف (سوسيولوجيا الصراع)...

خلاصة: المداخل النظرية عبارة عن نماذج تصورية يتم الاستناد عليها و تبني مقولاتها و تصوراتها في تفسير الظواهر الاجتماعية، يمكن الحديث في علم الاجتماع على ثلاث مداخل كبرى تتمثل في المدخل الوضعي و الماركسي والخلدوني تفرعت عنهم نظريات جديدة انطلقت من نقد أو تطوير أو توليف الإسهامات النظرية الأولى .

مراجع المحور

- 1-ابراهيم عيسى عثمان :النظرية المعاصرة في علم الاجتماع ،الطبعة الاولى ،دار الشروق للنشر و التوزيع
عمان ، 2008 ،ص16
- 2-المرجع نفسه ،ص42
- 3-السيد عبد العاطي السيد :النظرية في علم الاجتماع ،دار المعرفة الجامعية للنشر و التوزيع ،الاسكندرية
2005،ص 348

خاتمة :

إن استعراض السياق التاريخي لمأسسة علم الاجتماع يلعب دور كبير في الفهم المتخصص و الدقيق له ،ذلك أن صياغة مقولاته كانت صياغة تراكمية اشترك فيها العديد من المفكرين اللذين كان لإسهامهم الدور الكبير في نقل العلوم الاجتماعية بصفة عامة و علم الاجتماع بصفة خاصة من مرحلة لم يُعترف لها بالأهمية و لا بالعلمية إلى مرحلة أصبحت تُنعت فيها بالعلوم ،وقد جاءت دروس المطبوعة المتعلقة بمقياس مدخل إلى علم الاجتماع و الموجهة لطلبة السنة أولى في قسم التعليم الأساسي للعلوم الاجتماعية لتحاول تبسيط أفكار بعض الرواد الأول و اختلاف وجهات نظرهم في بحث ظواهر المجتمع و بالتالي في تحديد تعريف و موضوع و منهج لعلم الاجتماع ،وكيفية استخدامه في تفسير و تحليل و التنبأ بظواهر المجتمع استخداما يتوافق و الأسباب التي دفعت إلى مأسسته منذ البداية ،أي أن الانحراف في فهم المقولات الأساسية لعلم الاجتماع سيؤدي بالضرورة إلى انحراف في استخدامه ما يجعله عرضة للتهميش و الاستبعاد أو للتسخير و الاستغلال بشكل ينزع عنه المكانة المرموقة التي مُنحت له و يجعل معالجته للظواهر معالجة سطحية تحتجزه داخل حجرات الدرس و تُبعده عن فضاءه الحقيقي -المجتمع- .

قائمة المراجع :

أول : المراجع باللغة العربية :

- 1-ابراهيم عيسى عثمان :النظرية المعاصرة في علم الاجتماع ،الطبعة الاولى ،دار الشروق للنشر و التوزيع ،عمان ،2008
- 2-السيد عبد العاطي السيد :النظرية في علم الاجتماع ،دار المعرفة الجامعية للنشر و التوزيع ،الاسكندرية ،2005،
- 3-جاك أتالي :كارل ماركس أو فكر العالم سيرة حياة ،ترجمة محمد صبح ،الطبعة الأولى ،دار كنعان للدراسات و النشر و الخدمات الاعلامية ،2008
- 4-موريس أنجرس : منهجية البحث العلكي في العلوم الانسانية ،ترجمة بوزيدي صحراوي و آخرون ،الطبعة الثانية ،دار القصة للنشر و التوزيع ، 2006
- 5-محمد الشربيني :جان جاك روسو والعقد الاجتماعي ،(ترجمة عادل زعيتري) ،فروس للنشر والتوزيع ،القاهرة ،2016،
- 6-محمد عاطف غيث :علم الاجتماع ،دار المعرفة الجامعية ،الاسكندرية ،1986
- 7-نصيرة براهيمة وابراهيم بولفلل :المنهج العلمي في العلاقة البيئيةبين علم النفس الاجتماعي و الإحصاء،العدد التاسع ،مجلة الحكمة ،مؤسسة كنوز الحكمة للنشر و التوزيع ،2013
- 8-ريتشارد أوزيرن و بورن فان لون :أقدم لك علم الاجتماع ،ترجمة حدي الجابري ، الطبعة الأولى ،المجلس الأعلى للثقافة ،القاهرة ،2005
- 9-عبد الرحمان ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ،تحقيق أبي عبد الرحمان عادل بن سعد ،الدار الذهبية للطبع و النشر و التوزيع ، القاهرة ،2066
- 10-خالد حامد :مدخل إلى علم الاجتماع ،الطبعة الثالثة ،مسور للنشر و التوزيع ،الجزائر ،2015

11- غني ناصر حسين القريشي :المدخل النظرية لعلم الاجتماع ،الطبعة الاولى ،دار صفاء للنشر و التوزيع ،عمان ،2011

ثانيا :المراجع باللغة الفرنسية :

12- AILLET Véronique, LE QUEAU Pierre-le, OLM Christine. (2000). De l'Anomie a la déviance : réflexions sur le sens et la mesure du désordre social. Cahier de recherche n°145.Paris.Centre de la recherche pour l'étude et l'observation des conditions de vie (CREDOC)

13-RYMOND Aron , les étapes de la pensée sociologique,édition Gallimarde,1967